الرقية النافعة

للأمراض الشائعة

المس والصرع - الاكتئاب - العين والحسد - السحر والعمل ...

تأليف

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه






الرقية النافعة
للأمراض الشائعة

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

رقم الإيداع: ٢٠٤٤١ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي: 0 - 035 - 347 - 977

دار العقيدة

الأسكندرية : ١٠١ ش الفتح باكوس ت : ٠٣/٥٧٤٧٣٢١ - ف: ٠٠٢٠٣/٥٧٦٥٦٢١

القاهرة : ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسولُه، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة.

من يُطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصِ الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئًا.

اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك النبي الأمِّي، وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمِّي، وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد.

أما بعد:

فالعلاقة وثيقة بين حالة الإنسان وحالة الكون من حوله، والتناسب واضح بين السُنن الشرعية والسُنن الكونية، وكل مقدمة لها نتيجة وكل عقيدة لها تأثير، ولا فصل بين الأسباب ومسبباتها، وهذا علم حريٌ بأن يُطلق عليه اسم علم الطب القرآني، أو علم الطب النبوي، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧)، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤)، والإيمان هو حياة القلوب والأرواح

ولذلك قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)، ولذلك قال البعض: عجبًا لمن يبكي على من مات جسدُه ولا يبكي على من مات قلبه وهو أشد؛ فالكفر والمعاصي أشد الأمراض فتكًا بالنفس في الدنيا والآخرة، ومراجعة سريعة لنسب الانتحار والإدمان ونزلاء المصحات والأمراض العقلية والنفسية، وانتشار أمراض الإيدز، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤)، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦)، وفي الحديث: **«ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا»**.

فأعظم داءٍ الذنوب والمعاصي، وأعظم دواء الإيمان والعمل الصالح، وبه يتحقق بإذن الله الشفاء التام من أمراض القلب والبدن، وقد كان من جراء الفصل المريب بين الدنيا والآخرة والدين والدولة، أن تطرق ذلك إلى مجال الداء والدواء، وسيطر الطغيان المادي المعاصر على حقل الطب والعلاج، وصار البشر يستفتون الطبيب العالمي ويستسلمون له، أما خالق الأجساد والأرواح فيناقشونه ويراجعون أمره، ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

وفي مقابل من يُنكر الرقى الشرعية والتداوي بالقرآن، وُجد من يرفض الذهاب للطبيب والجراح على الرغم من أن ذلك لا ينافي التوكل على الله.

لم تسلم مجالات الطب من معاني الإفراط والتفريط ومن مظاهر الغربة، فكثرت صور الشعوذة في الآونة الأخيرة ممن يدعون الطب، ويعالجون عن طريق السحر أو الكهانة واستغلوا السذج من الناس ممن يغلب عليهم الجهل، وانتشرت مراكز علاج الصرع، والسحر، والمس الشيطاني، وفسخ الخطبة المتكرر!!،

والذهاب للكنائس تلمسًا للعلاج!! وصار المصروع في عقيدته يعالج مصروعًا في بدنه!!، وأصبحت كتب الجن من أكثر الكتب رواجًا وانتشارًا!!، وفي المقابل قد تجد الطبيب المسلم لا يعرف شيئًا عن فقه التداوي، ولا يبالي إن كان الدواء حلالاً أو حرامًا، ولا يفكر في أن يُسمي الله ويتوكل عليه ويُنيب إليه، ولا ينضبط بالآداب الشرعية في التعامل مع النساء المريضات، موجة تحلل وتفسخ أصابت كل ناحية من نواحي حياتنا.

ولذا رأيت من باب النصيحة لله ولعباده أن أبيِّن ما في ذلك من خطر عظيم على الإسلام والمسلمين لما فيه من التعلق بغير الله تعالى ومخالفة أمره وأمر رسوله ﷺ حتى نستقيم على الجادة، ونلتزم الصراط الموصل إلى رضوان الله والجنَّة، ونكون عبادًا صالحين في عُسرنا، ويُسرنا، ومنشطنا، ومكرهنا، وفي مرضنا وصحتنا.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنبت، وهذا أوان الشروع في المقصود، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بقلم

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

لكل داء دواء

يجوز التداوي اتفاقًا، وللمسلم أن يذهب إلى طبيب أمراض باطنية أو جراحية، أو عصبية، أو نحو ذلك ليشخص له مرضه، ويعالجه بما يناسبه من الأدوية المباحة شرعًا، حسبما يعرفه في علم الطب، لأن ذلك من باب الأخذ بالأسباب العادية، ولا ينافي التوكل على الله، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى الداء وأنزل معه الدواء، وعرف ذلك من عرفه وجهله من جهله.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء**»، وفي الحديث: «**لكل داء دواء وإذا أصاب الدواء الداء برئ بإذن الله تعالى**» (رواه مسلم وأحمد).

وعند الترمذي أن الأعراب قالت: يا رسول الله ألا نتداوى، قال: «**نعم عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً أو دواءً**». (حديث حسن صحيح).

وقد تداوى النبي ﷺ واحتجم، وقال جابر رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ كوى سعد بن مُعاذ في أكحله مرتين» (رواه الترمذي، ورواه ابن ماجه، ومسلم بمعناه).

وقد بوَّبَ العلماء كالإمام مسلم وغيره: «باب لكل داء دواء» استنادًا لهذه النصوص الثابتة عن النبي ﷺ، ولاشك أن هذه الأحاديث تفتح أبواب الرجاء والأمل أمام المصابين وغيرهم، وتدفع العلماء إلى بذل الوسع والمزيد من الجهد لاكتشاف الأدوية التي خلقها الله للإيدز وغيره من الأمراض[1]، وليس لأحد أن ييأس من روح الله ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف:٧٨)، ومن المعلوم أن البشرية ما زالت تجهل الكثير من أسرار الكون فيما يتعلّق بالطب

(١) أي التي لم يُعرف لها علاجًا حتى الآن.

وغيره، على الرغم من زعم التطور العلمي، فما زالت أمراض كثيرة لا يُعرف سببها ولا علاجها حتى يومنا هذا.

□ *المنع من التداوي بالمحرمات:*

روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه: «**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حُرِّم عليكم**» (رواه أحمد والطبراني).

وفي السُنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء الخبيث»، وفي صحيح مسلم عن طارق بن سويد الجعفي: أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر؛ فنهاه أو كره أن يصنعها؛ فقال: إنما أصنعُها للدواء فقال صلى الله عليه وسلم: «**إنه ليس بدواء ولكنه داء**».

وفي سُنن النسائي: «أن طبيبًا ذكر ضفدعًا في دواء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عن قتلها»، وروى أبوداود في سُننه من حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواءً، فتداوَوْا ولا تداوَوْا بالمحرم**».

وفي صحيح مسلم عن طارق بن سويد الحضرمي قال: قلت يا رسول الله إن بأرضنا أعنابًا نعتصرها أفنشرب منها؟، قال: «**لا**»، فراجعته. قلت: إنَّا نستشفي للمريض، قال: «**إن ذلك ليس بشفاء،ولكنه داء**».

فالمعالجة بالمحرمات قبيحةٌ عقلاً وشرعًا، وليس كل دواء وصفه طبيب يجوز تعاطيه، فقد يكون مصنوعًا من الخمر، أما إذا استحالت الخمر في الدواء فلم يبق لها أثر، لا لون ولا طعم ولا رائحة فيجوز حينئذ.

كذلك لا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدَّعون معرفة الغيب ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز له أن يصدقهم فيما يخبرونه به فإنَّهم يتكلمون

رجمًا بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادعوا علم الغيب، وقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرَّافًا فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد**» (رواه أبوداود وخرجه أهل السُنن الأربع) وصححه الحاكم عن النبي ﷺ بلفظ: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد**».

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من تطيَّر أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد**» (رواه البزار بإسناد جيد).

ويحرم الذبحُ للجني ومناداة الغائب، وتعلُّق القلب بالجني في جلب النفع ودفع الضر حتى لو شفي المريض بسبب ذلك، فإن الغاية لا تبرر الوسيلة، ولم يجعل الله شفاء الأمة فيما حُرِم عليها.

❐ ❐ ❐

القرآن شفاء للأمراض العضوية والنفسية

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: ٨٢).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ (فصلت: ٤٤).

وقال تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٤).

وقال تعالى: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (يونس: ٥٧).

والله هو الشافي والمعافي: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠).

ولا يشترط أن يكون الدواء مركبًا أو أعشابًا أو ما شابه ذلك، بل يكفي التداوي بآيات وسور القرآن؛ فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، **ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات**» (رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما).

وفي روايات الصحيحين زيادة على هذا، ففي بعضها قالت عائشة رضي الله عنها: «فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به»، وفي بعضها «كان النبي صلى الله عليه وسلم ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، قالت عائشة رضي الله عنها: فلما ثقل كنت أنفث عليه بِهِنَّ وأمسح بيد نفسه لبركتها»، وفي بعضها: «كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث».

قال أهل اللغة: النفث نفخٌ لطيف بلا ريق، ويستحب أن يُقرأ عند المريض بالفاتحة لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح فيها: **«وما أدراك أنها رُقية»**.

وعن طلحة بن مطرف قال: «كان المريضُ إذا قرئ القرآن وجد لذلك خفةً، فدخلت على خيثمة وهو مريض؛ فقلت إني أراك اليوم صالحًا؛ فقال: إني قُرِئَ عندي القرآن».

ومن المعلوم أن القرآن شفاء لأمراض الشهوات والشبهات، كما أنه علاج لأمراض الروح والقلب والبدن، فعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: «انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يُضيفوهم، فلُدغ سيد ذلك الحيّ، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعلهم أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لُدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء؛ فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إني لأرقي، ولكن استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جُعْلاً؛ فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ الحمد لله رب العالمين؛ فكأنما نشط من عقالٍ، فانطلق يمشي وما به قَلَبَةٌ[1]، قال: فأوفوهم جُعْلَهم الذي صالحوهم عليه؛ فقال بعضهم: اقتسموا؛ فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ﷺ، فنذكر له الذي كان؛ فننظر ما يأمرنا؛ فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له ذلك فقال: «**وما يدريك أنها رقية؟**، ثم قال: قد أصبتم، اقتسموا واضربوا لي معكم سهمًا» (أخرجاه في الصحيح).

□ ***ويستشفى أيضًا بحديث رسول الله ﷺ:***

روى الخطيب أبو بكر البغدادي ـ رحمه الله ـ بإسناده: «أن الرمادي ﵁ كان إذا اشتكى شيئًا قال: هاتوا أصحاب الحديث فإذا حضروا قال: اقرءوا عليَّ الحديث»؛ فهذا في الحديث فالقرآن أولى ـ ذكره النووي في التبيان في آداب

---

(١) الداء أو الألم الذي يتقلب منه صاحبه.

حملة القرآن ـ وقد روى ابن ماجه في سُننه، من حديث عليٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الدواء القرآن**».

فسواء اكتُشِف للمرض دواء أو لم يُكتشف، فإن القرآن شفاء ودواء بل والسُّنَّة كذلك ـ بإذن الله ـ.

□ *هدي النبي ﷺ في التداوي والأمر به:*

ينقسم المرض إلى مرض القلوب ومرض الأبدان، ونعني بمرض القلوب هنا أمراض الشهوات والشبهات، لا أمراض القلوب التي يعالجها الأطباء مثل هبوط القلب وتضخمه، فهذه من أمراض البدن، وقد أمر النبي ﷺ بعلاج هذه وتلك، فعن أسامة بن شريك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله لم يُنزل داءً إِلا أنزل له شفاء، إِلا الهرم**» (أخرجه أبوداود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وقال: حسن صحيح).

وفي الحديث: «**إن الله لم يُنزل داءً إلا أنزل شفاءً، علمه من علمه، وجهله من جهله**» (أخرجه ابن ماجه وأحمد والبيهقي والحاكم وابن حبان).

□ *قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في الطب النبوي:*

«فكان من هديه ﷺ: فعل التداوي في نفسه والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، ولكن لم يكن من هديه ولا هدى أصحابه، استعمال هذه الأدوية المركبة التي تسمى: أقراباذين؛ بل كان غالب أدويتهم بالمفردات، وربما أضافوا إلى المفرد ما يعاونه، أو يكسر سورته، وهذا غالب طب الأمم على اختلاف أجناسها، من العرب والترك، وأهل البوادي قاطبة.

وإنما عُنى بالمركبات الروم واليونانيون وأكثرُ طب الهند بالمفردات.

وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل إلى الدواء، ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل إلى المركب. قالوا: وكلُّ داءٍ قُدر على دفعه بالأغذية والحمية، لم يحاول دفعُه بالأدوية. قالوا: ولا ينبغي للطبيب أن يولَعَ

بسقي الأدوية؛ فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داء يحلله، أو وجد داءً لا يوافقه، أو وجد ما يوافقه فزادت كميتُه أو كيفيتُه، تشبث بالصحة وعبث بها» اهـ.

إن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وهذا يصدق على مجالات الطب وغيرها وهو ﷺ كما وصفه ربه - عزَّ وجلَّ - ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم:٣-٤).

وهذه الأمة إذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم، وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أَدْيَنُ من غيرهم، كما يقول ابن تيمية - رحمه الله - وانظر في كلام ابن القيم الذي نقلناه ستتبين مدى التمكن، ليس فقط في علوم الشريعة؛ بل وعلوم الطب وغيرها، قال - رحمه الله -: «والتحقيق في ذلك: أن الأدوية من جنس الأغذية، والأمة والطائفة التي غالب أغذيتها المفردات: أمراضها قليلة جدًا، وطبها بالمفردات، وأهل المدن الذين غلبت عليهم الأغذية المركبة، يحتاجون إلى الأدوية المركبة، وسبب ذلك أن أمراضهم في الغالب مركَّبة؛ فالأدوية المركبة أنفع لها، وأمراض أهل البوادي والصحاري مفردة؛ فيكفي في مداواتها الأدوية المفردة فهذا برهان بحسب الصناعة الطبية» اهـ.

❏ *الهزيمة النفسية حتى في مجالات الطب:*

العلوم النافعة تؤخذ من كل مَن أفلح فيها، أما علوم الهداية فلا تؤخذ إلا من كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ؛ فليس معنى انتفاعنا بعلوم الطب والزراعة والهندسة، أن نأخذ ما عليه الكفار من دين باطل ونتابعهم حذو القُذَّة بالقُذَّة، وحذو النعل بالنعل، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍ دخلناه وراءهم، إن الفارق كبير بين انتفاعنا بالعلوم المادية التجريبية، وبين إصرارنا على أن تكون كتب الطب والمؤتمرات العلمية في بلادنا باللغات الأجنبية؛ بل وباللكنة الأمريكية!! والتشبه

بهم في كل شيء حتى في الاختلاط المريب وهجر معاني الإيمان في الطب وغيره إن اللغة العربية هي أشرفُ اللغات والعربُ أفضلُ الأجناس، وهذه الأمة التي تستقيم على شرع الله هي خير الأمم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، فلِمَ هذه الهزيمة النفسية.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم»:

«ولا يُتصور أن يكون شيء من أمورهم ـ أي الكفار ـ كلامًا قط؛ فإذًا المخالفة لهم فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورنا، حتى ما هم عليه من إتقان أمور دنياهم، قد يكون مُضرًا بآخرتنا أو بما هو أهم منه من أمر دنيانا، فالمخالفة فيها صلاح لنا.. إلى أن قال: وحقيقة الأمر أن جميع أعمال الكافر وأموره، لابد فيها من خلل يمنعها أن تتم له منفعة بها، ولو فُرض صلاح شيء من أموره على التمام لاستحق بذلك ثواب الآخرة، ولكن كل أموره إما فاسدة وإما ناقصة، فالحمد لله على نعمة الإسلام، التي هي أعظم النِّعم وأمُّ كل خير، كما يحب ربنا ويرضى» اهـ.

◻ *«وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ عنهم:*

فنسبةُ ما عندهم من الطب إلى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياء، بل ههنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض، ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم، من الأدوية القلبية والروحانية، وقوة القلب واعتماده على الله، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والانطراح والانكسار بين يديه، والتذلل له، والصدقة والدعاء، والتوبة والاستغفار، والإحسان إلى الخلق وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب؛ فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء، ولا تجربتُه ولا قياسُه.

وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أموراً كثيرة، ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسيّة، بل تصير الأدوية الحسية عندها بمنزلة الأدوية الطرقية عند الأطباء، وهذا جار على قانون الحكمة الإلهية، ليس خارجًا عنها، ولكن الأسباب متنوعة؛ فإن القلب متى اتصل برب العالمين، وخالق الداء والدواء، ومدبر الطبيعة ومصرِّفها على ما يشاء، كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه، المُعرِض عنه، وقد عُلِمَ أن الأرواح متى قويت وقويت النفس والطبيعة تعاونا على دفع الداء وقهره؛ فكيف يُنكر لمن قويت طبيعته ونفسه، وفرحت بقربها من بارئها وأنسها به، وحبِّها له، وتنعمها بذكره، وانصراف قواها كلها إليه، وجمعها عليه، واستعانتها به، وتوكلها عليه ـ أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية ـ وتُوجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلية؟! ولا يُنكر هذا إلا أجهل الناس، وأعظمُهم حجابًا، وأكثفهم نفسًا وأبعدُهم عن الله وعن حقيقة الإنسان.

❐ ❐ ❐

العلاج بالرقى والأدعية

ورد في الحديث «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»؛ فيشرع العلاج بالرقى والأدعية إذا كانت مشتملةً على ذكر الله، وكانت باللفظ العربي المفهوم، لأن ما لا يُفهم لا يؤمن أن يكون فيه شيء من الشرك.

فعن عوف بن مالك ﵁ قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**» (رواه مسلم، وأبوداود).

وقال الربيع سألت الشافعي عن الرقية فقال: لا بأس أن ترقي بكتاب الله، وبما تعرف من ذكر الله، قلت: أيرقى أهلُ الكتاب المسلمين؟ قال: نعم، إذا رقوا بما يُعرف من كتاب الله وبذكر الله.

وروى البخاري عن عائشة ﵂: أن النبي ﷺ كان يعوّذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: «**اللهم رب الناس أذهب البأس** - الشدة - **اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**».

وروى مسلم عن عثمان بن أبي العاص ﵁ أنّه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده؛ فقال له رسول الله ﷺ: «**ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله، وقل: سبع مرات: أعوذ بعزِة الله وقدرته من شر ما أجدُ وأحاذرُ**»، قال: ففعلت ذلك مرارًا فأذهب الله ما كان بي فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم.

وروى الترمذي عن محمد بن سالم قال: قال لي ثابت البناني: يا محمد إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكي، ثم قل: بسم الله أعوذ بعزة الله من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك، ثم أعد ذلك وترًا، فإن أنس بن مالك حدثني: أن رسول الله ﷺ حدثه بذلك.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**من عاد مريضًا لم يحضر أجلُه فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يَشْفِيَكَ، إلا عافاه الله من ذلك المرض**» (رواه أبوداود، والترمذي، وقال: حسن، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري).

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين: «**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة** - التي تصيب بسوء - ويقول: **إن أباكما**[1] **كان يعوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق**».

وروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاده في مرضه فقال: «**اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا**».

❐ ❐ ❐

(١) أي إبراهيم عليه السلام

بعض التعوذات والرقى النافعة

الإكثار من قراءة المعوذتين، وفاتحة الكتاب وآية الكرسي، والإكثار من التعوذات النبوية نحو «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق».

ومنها: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار، إلا طارقًا يطرق بخيرٍ يا رحمن.

ومنها: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون.

ومنها: اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامات، من شر ما أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت تكشف المأثم والمغرم، اللهم إنه لا يُهزم جندُك، ولا يُخلف وعدك، سبحانك وبحمدك.

ومنها: أعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شيء أعظم منه، وبكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، وبأسماء الله الحسنى ـ ما علمت منها وما لم أعلم ـ من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر كل ذي شر لا أطيق شره، ومن شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، إن ربي على صراط مستقيم.

ومنها: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت ربُّ العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوة إلا بالله، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشِرْكه، ومن شر

وإن شاء قال: تحصنتُ بالله الذي لا إله إلا هو، إلهي وإله كل شيء واعتصمت بربي ورب كل شيء، وتوكلت على الحي الذي لا يموت، واستدفعتُ الشر بلا حول ولا قوة إلا بالله، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الرب من العباد، حسبي الخالق من المخلوق، حسبي الرازق من المرزوق، حسبي الله هو حسبي، حسبي الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يُجير ولا يُجارُ عليه، حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا، وليس وراء الله مرمى، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم.

□ *قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:*

«ومن جرب هذه الدعوات والعُوذ عرف مقدار منفعتها، وشدة الحاجة إليها، وهي تمنع وصول أثر العائن وتدفعه بعد وصوله، بحسب قوة إيمان قائلها وقوة نفسه واستعداده، وقوة توكله وثبات قلبه، فإنها سلاح والسلاح بضاربه» اهـ.

أي أن السلاح ليس بحدِّهِ فقط؛ فينبغي على العبد أن يُقبل على معاني الإيمان إقبال المتيقن من نفعها بإذن الله، لا إقبال الممتحن لربه ولا المجرب المتشكك في شرعه سبحانه؛ فهذا شأنه مع التعوذات والأدعية كشأن اليد المشلولة مع السيف البتار، لا تستطيع حمله، ولا أن تُحدث نكاية في العدو.

□ ***الأذكار والدعوات توقيفية في الكيفية والكمية:***

شاع أن لكل شيخ طريقةً، والصحيح أنه لا طريق لنا إلا طريق رسول الله ﷺ، ولا قول لأحد بعد قول الله ورسوله ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

وفي مسند الدارمي أن أبا موسى الأشعري ﷺ جاء إلى عبد الله بن مسعود فقال: يا أبا عبد الرحمن إني رأيتُ في المسجد آنفًا شيئًا أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟

قال: إن عشت فستراه، قال: رأيتُ في المسجد قومًا حِلقًا حِلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول لهم: كبروا مائة فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة، ويقول: سبِّحوا مائة، فيسبِّحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا، انتظار رأيك وانتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى الحِلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي تصنعون؟

قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصىً نعد به التكبير والتهليل، قال: فعدوا سيئاتكم وأنا ضامن لكم ألا يضيع من حسناتكم شيء، وَيْحكُم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، أوَ مفتتحي باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، فقال: وكم من مريد للخير لن يصيبه.

فلا تكفي النياتُ الطيبة، بل لابد من صحة العمل والاستقامة فيه على كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ (الكهف: ١١٠).

فلو كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وكذلك إذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، ولما سمع ابن عمر ﷺ رجلاً عطس فقال: الحمد لله والصلاة على رسول الله، فقال له ابن عمر ﷺ: ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ؛ قال: «**إذا عطس أحدكم فليحمد الله**»، ولم يقل: وليصل على رسول الله، فهذه الزيادة على السُنَّة ينكرها ابن عمر، على الرغم من أنها عبارةٌ عن الصلاة على رسول الله ﷺ، وهذا لحرصهم على عدم خدش جناب التشريع.

◻ *واقع كثير من المعالجين مريب:*

ما عُصي اللهُ بمعصية أعظم من الجهل بالدين، ولما قيل للإمام سهل: «أتعرف شيئًا أشد من الجهل، فقال: نعم الجهل بالجهل»، وذلك لأنه يسد باب العلم بالكلية، وقد انخرطت أعداد كثيرة في العلاج بالقرآن والأذكار، وتفرغوا تمامًا لهذا الغرض، ولما كان معظمهم من حدثاء العهد بالتدين والالتزام بطاعة الله، لبَّست عليهم الشياطين واستدرجتهم لانحرافات كثيرة مثل الاختلاط بالنساء والانفراد بهن، وضرب بعض الحالات حتى الموت أو إِحداث العاهات بها، ومناداة الجن وتعلق القلوب بهم في جلب النفع ودفع الضرر ومعرفة بعض المغيبات، وفتح المندل وحرق العرائس وإطلاق البخور، والرجم بالغيب، وادعاء أن فلانة مصروعة بكذا وكذا جني، وأن الجني قد أسلم وصار يحضر درس فلان وفلان!!، ووُضعت براميل المياه المقروء عليها داخل بعض المساجد لمواجهة طوابير المرضى والمصروعين.

كل ذلك وغيره كثير فعلوه بزعم العلاج ونصرة المظلوم!!، وصارت كل من اشتكت ظهرها أو فُسخت خِطبَتُها أو تأخر زواجها، أو وجدت شيئًا من الماء أمام باب شقتها، أو أحست بنفرة من زوجها.. مصروعة أو مسحورة!!! وقد ساعدت كتبُ الجن والسحر مراكز العلاج بالقرآن على نشر هذه الخرافات، هل يُنتظر علاج الصرع من مصروع في عقيدته، وهل الجاهل الذي يتطبب بغير طبٍّ يصلح لعلاج أمراض الناس؟!!

قال ابن مسعود ﷺ: «تعلموا العلم قبل أن يُقبض وقبضته أن يذهب أهله، ألا وإِياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق، فالهرب الهرب والنجاء النجاء والتمسك بالطريق المستقيم والسَّنَنِ القويم الذي سلكه السلف الصالح وفيه المتجر الرابح».

□ *كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يسأله عن القدر، فكتب:*

أما بعد:

«فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سُنَّة رسول الله ﷺ ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سُنَنه وكُفُوا مؤونته، فعليك بلزوم الجماعة فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها؛ فإن السُنَّة إنما سنَّها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والعمق، فارض لنفسك ما رضى به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وقفوا، وبصرنا قد كفوا، وإنهم على كشف الأمور كانوا أقوى وبفضل ما كانوا فيه أولى فإن كان الهدى ما أنتم عليه، لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، قد تكلموا فيه بما يكفي ووضعوا ما يشفي، فما دونهم من مقصرٍ وما فوقهم من محسرٍ وقد قصّر قوم دونهم فجفوا وطمح عنهم أقوام فغلوا وإنهم مع ذلك لعلى هدى مستقيم» (رواه أبوداود).

وقال سهل: «لا يُحدث أحدكم بدعةً حتى يُحدث له إبليس عبادة فيتعبد بها، ثم يُحدث له بدعة؛ فإذا نطق بالبدعة ودعا الناس إليها نزع منه تلك الخدمة».

وقال أبو العالية: «عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا».

وقال سفيان الثوري: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها».

ويُحكى أن رجلاً أتى الإمام مالكًا فقال له: إني أريد أن أُحرم، فمن أين أُحرِمُ، قال له الإمام: من حيث أحرم رسول الله ﷺ : من ذي الحُليفة؛ فقال الرجل: فإني أريد أن أحرم من أبعد منه، فقال له الإمام: لا تفعل، قال الرجل: ولِمَ؛ قال الإمام: أخاف عليك الفتنة، قال الرجل: وأيُّ فتنة في ازدياد

الخير، قال له الإمام: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

□ *لا يكفي أن يقال فلان يعالج بالقرآن والأذكار:*

كان النبي ﷺ يقول: «**اعرضوا عليَّ رُقاكم**»، ونحن اليوم في أشد الحاجة لعرض الرقى على كتاب **الله** وسُنَّة رسول **الله** ﷺ، فبعض المعالجين بالقرآن يتعامل مع الجن تعاملاً محرمًا، كأن يذبح للجني، والبعض يستخدم الطلسمات والتعوذات الشركية ويردد كلمات مجهولة.

وكثير من كتب العلاج بالقرآن قيد الأذكار التي أطلقها الشرع بعدد محدود، أو أطلقت المقيد من هذه الأذكار؛ فنجد في بعض هذه الكتب أن الذكر أو الآية مثلاً تقال عشرين مَرَّةً أو مئتي مرَّة.

ولم يثبت ذلك في نصوص الشريعة، وقد يَحد المؤلف حدًا من عنده كما في كتاب «إثبات علاج جميع الأمراض بالقرآن الكريم»، فبعد ما ذكر المؤلف آيات الشفاء في القرآن قال: تُكتب في طبق صيني أبيض بدون نقوش بالزعفران وماء ورد، ثم تمحى بماء ويسقى للمريض، فإنه يشفى في وقته بإذن الله تعالى!

ولا ندري من أين أتى بهذه التقيدات؛ فكتابة الآيات على مثل هذا النحو مُختلف فيه بين العلماء، ومن قال بجواز ذلك، فما هو دليله على أن الطبق لابد أن يكون من الصيني الأبيض غير المنقوش؟!! وماذا لو تأخر الشفاء ولم يُشف المريض في وقته؟!

وهذا مثل من أمثلة عديدة لو نقلناها من مصادرها لطال بنا الحديث، ثم بعض هذه الكتب، وبعض من يعالج أيضًا يذكر آيات وسورًا تُقرأ بعدد محدد لأمراض معينة مثل: السرطان والروماتيزم والأمراض الجلدية وأمراض الصدر، فمن أين أتى بهذا التحديد، وهل قرأ هذا التوصيف في كتاب الله أو سُنَّة رسول **الله** ﷺ؟.

□ *يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:*

«لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع؛ فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد التي تحصل بها لا يُعبِّر عنها لسان، ولا يُحيط بها إنسان.

وليس لأحد أن يَسنَّ للناس نوعًا من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلها عبادةً راتبةً، يواظبُ الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس؛ بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به».

وقال أيضًا: «وأما اتخاذ وردٍ غير شرعي، واستنان ذكر غير شرعي: فهذا مما يُنهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية، والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة، ونهاية المقاصد العلية، ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المُحدَثة المبتدعة إلا جاهل ومُفرِّط أو مُعتدٍّ» اهـ.

□ *وقال القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى ـ:*

«أذن الله في دعائه، وعلَّم الدعاء في كتابه لخليفته، وعلّم النبي ﷺ الدعاء لأمته واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ، وقد احتال الشيطان للناس من هذا المقام، فقيَّض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي ﷺ، وأشد ما في الحال أنهم ينسبونها إلى الأنبياء والصالحين فيقولون: «دعاءُ نوح، دعاء يونس، دعاء أبي بكر الصدِّيق» فاتقوا الله في أنفسكم، لا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح» اهـ.

□ *وقال الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي:*

«ومن العجب العجاب أن تُعرِضَ عن الدعوات التي ذكرها الله في كتابه عن

الأنبياء والأولياء والأصفياء مقرونـة بالإِجابة ثم تنتقي ألفاظ الشعراء والكُتَّابِ كأنك قد دعوت في زعمك بجميع دعواتهم، ثم استعنت بدعوات مَنْ سِواهم» اهـ.

◻ *هل نلغى الرقى الشرعية لأخطاء المعالجين؟!*

روى أبوداود والنسائي وابن مـاجه من حديث عـمرو بن شعـيب عن أبيه عن جده قـال: قال رسول الله ﷺ: «**من تطبَّب، ولم يُعلمْ منه الطبُّ قبل ذلك فهو ضامن**».

قال الجوهري: «كل حـاذقٍ طبيبٌ عند العـرب»، وقال أبو عـبيـدة: «أصل الطب: الحذق بالأشياء والمهارة بهـا، يقال للرجل، طبٌّ وطبيب، إذا كان كذلك وإِن كان في غير علاج المريض».

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله-: «أن الضمان يجب على الطبيب الجاهل، فإذا تعاطى علم الطب وعمله ولم يتقدم له به مـعرفة؛ فقد هجم بجهله على إِتلاف الأنفس، وأقـدم بالتهور علـى ما لم يعلمـه، فيكون قد غـرر بالعليل؛ فيـلزمه الضمان لذلك، وهذا إِجماع من أهل العلم».

وقال الخطابي: «لا أعلم خلافًا في أن المعالج إذا تـعدى فتلف المريض، كان ضامنًا، والمتعـاطي علمًا أو عملاً لا يعـرفه، متعد، فـإذا تولد من فعله التلف، ضمن الدية، وسـقط عنه القَوَد[1] لأنه لا يستـبد بذلك بدون إذن المريض وجناية المتطبب في قول عامة الفقهاء على عاقلته»[2] اهـ.

يجب على المسلم أن يدور مع إِسلامه حيث دار، وأن يقبل الحق من كل من جاء به، وأن يرد الباطل على صـاحبه كائنًا من كان، بحـيث يصطلح كل فريق

(١) القود: القصاص.

(٢) العاقلة: عصبة الرجل وهم القرابة من قـبل الأب الذين يُعطون دية من قتله خطأ. وقال أهل العراق: هم أصحاب الدواوين.

يجب على المسلم أن يدور مع إسلامه حيث دار، وأن يقبل الحق من كل من جاء به، وأن يرد الباطل على صاحبه كائنًا من كان، بحيث يصطلح كل فريق على حقه؛ فمن ابتدع وانحرف قيل له: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناسُ حسنة، ويقال لهم: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم، عليكم بالأمر العتيق كما قال ابن مسعود ﷺ، وكان الشافعي يقول: «من استحسنَ فقد شرَّع».

ومن تعدى وجار وظلم قيل له: اتق الله وأعط لكل ذي حق حقه، واطلب السلامة لنفسك فالسلامة لا يعدلها شيء، والأمر إما جنّة وإما نار.

ومن أراد إبطال العلاج القرآنيِّ، وإلغاء الرقى الشرعية، قيل له: لا تصادم ما جاء في كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ وأجمع عليه علماء الأمة المعتبرين، فإن اعتذر بأحكام وجنايات بعض المعالجين، قيل له: لا تعميم إلا بعد حصول الاستقراء ولا يسعنا اتهام الموظفين بالرشوة، وإنهاء الأعمال والوظائف، لتفريط البعض وتقصيره.

وكذلك الأمر بالنسبة للملتحين، والمنقبات، والأطباء، والجراحين، فالخطأ مردودٌ على صاحبه وحده، والعدل أساس الملك وبه قامت السموات والأرض ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة:٨)، والميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال هو كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، فما وافقه قُبِلَ، وما خالفه رُد وكل إنسان يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ

❒ ❒ ❒

الصرع

انتشر الصرعُ في الآونة الأخيرة انتشاراً كبيراً!! وسط الكبار والصغار والرجال والنساء ونسبة الحالات وسط النساء أزيدُ!! وقد أدخل البعضُ في الصرع ما ليس منه!! وتوهم فريق كبير أنه مصروعٌ لأوجاع ألمت به أو حدثت له!!، وانخرطت قطاعات من الشباب في علاج حالات الصرع!! بل وتفرغوا لهذا الغرض!! بينما أنكر البعض ـ وخصوصًا من الأطباء ـ صرع الجنِّ للإِنس!!

رأينا بعض المصروعين في عقيدتهم يعالجون المصروعين في أبدانهم!! ويخلطون عملاً صالحًا وآخر سيئًا!!، وقد يضربون المصروع صرعًا طبيًا حتى الوفاة بزعم أن الضرب يقع على الجني ـ وهذا يُسلم لهم لو كان مصروعًا صرعًا جنيًا، ولم يُخطئوا تشخيصه!! ـ وقد راجت كتب الجن والصرع رواجًا كبيرًا، وانتشرت مراكز العلاج الروحاني هنا وهناك!! وامتلأت بعض المساجد بطوابير المصروعين!! وبراميل المياه المقروء عليها!! ولكثرة العدد اكتفى بعض المعالجين بإِمرار العصا على الرؤوس، أو إسماعهم الشرائط المسجل عليها آيات وأدعية بأعداد محددة!! ولا نخطئ لو قلنا: صار الصرع ظاهرة من الظواهر التي نعاني منها ـ حقيقة أو وهمًا ـ ولذلك نرى أن نبدأ به توضيحًا للمفاهيم وحسمًا ـ بإِذن الله ـ لمادة الشر والفساد التي طالت بعض المتدينين ـ ولا حول ولا قوة إِلا بالله.

❐ ❐ ❐

الصرع صرعان طبي وجني

□ *يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في زاد المعاد (جـ٣ - ص٨٤):*

«فصل في هديه ﷺ في علاج الصرع: أخرجا في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أُريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف؛ فادع الله لي، قال: «**إن شئتِ صبرت ولك الجنة، وإن شئتِ دعوت الله أن يعافيك**، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف؛ فدعا لها».

قلت: الصرع صرعان، صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة، والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء: في سببه وعلاجه، وأما صرع الأرواح فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة فتدافع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها، وقد نص على ذلك بقراط في بعض كتبه فذكر بعض علاج الصرع.

وقال: هذا إنما ينفع في الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة، وأما الصرع الذي يكون من الأرواح فلا ينفع فيه هذا العلاج، أما جهلة الأطباء وسقطتهم وسفلتهم ومن يعتقد بالزندقة فضيلة، فأولئك ينكرون صرع الأرواح ولا يُقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك والحس والوجود شاهد به وإحالتهم ذلك على غلبة بعض الأخلاط هو صادق في بعض أقسامه لا في كلها، وقدماء الأطباء كانوا يسمون هذا الصرع: المرض الإلهي، وقالوا: إنه من الأرواح.

وأما جالينوس وغيره فتأوَّلوا عليهم هذه التسمية وقالوا: إنما سموه بالمرض الإلهي لكون هذه العلة تحدث في الرأس فتضر بالجزء الإلهي الطاهر الذي مسكنه الدماغُ، وهذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الأرواح وأحكامها وتأثيراتها، يضحك من جهل هؤلاء وضعف عقولهم.

❑ *وعلاج هذا النوع يكون بأمرين:*

أمر من جهة المصروع، وأمر من جهة المعالج:

فالذي من جهة المصروع: يكون بقوةِ نفسه، وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان؛ فإن هذا نوع محارب، والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين: أن يكون السلاح صحيحًا في نفسه جسدًا، وأن يكون الساعد قويًا؛ فمتى تخلف أحدهما لم يُغن السلاح كثير طائلٍ؛ فكيف إذا عدم الأمران جميعًا، يكون القلب خرابًا من التوحيد والتوكل والتقوى والتوجه ولا سلاح له.

والثاني من جهة المعالج: بأن يكون فيه هذان الأمران أيضًا حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله: اخرج منه، أو بقول: بسم **الله**، أو بقول: لا حول ولا قوة إلا **بالله**، والنبي ﷺ كان يقول: «**اخرج عدو الله أنا رسول الله**».

وأما صرع الأخلاط فهو علَّةٌ تمنع الأعضاء النفسية عن الأفعال والحركة والانتصاب منعًا غير تامٍ، وسببه خلط غليظ لزج يسد منافذ بطون الدماغ سدة غير تامة، فيمتنع نفوذ الحس والحركة فيه وفي الأعضاء نفوذًا تامًا من غير انقطاع بالكلية، وقد يكون لأسباب أضرَّ كريح غليظ يحتبس في منافذ الروح أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء، أو كيفية لاذعة فينقبض الدماغ لدفع المؤذى، فيتبعه تشنُّج في جميع الأعضاء، ولا يمكن أن يبقى الإنسان معه منتصبًا، بل يسقط ويظهر في فيه الزبد غالبًا، وهذه العلة تُعَدُّ في جملة

الأمراض الحادة باعتبار وقت وجوده المؤلم خاصة وقد تُعد من جملة الأمراض المزمنة باعتبار طول مكثها، وعسر بُرئها لاسيما إن تجاوز في السن خمسًا وعشرين سنة، وهذه العلة في دماغه وخاصة في جوهره، فإن صرع هؤلاء يكون لازمًا.

قال أبقراط: إن الصرع يبقى في هؤلاء حتى يموتوا... وما على الصناعة الطبية أضر من زنادقة القوم وسفلتهم وجُهَّالهم». اهـ.

◻ أدلة مس الجني للإنس:

١ ـ روى البخاري ومسلم عن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ معتكفًا؛ فأتيته أزوره ليلاً؛ فحدثته ثم قمت لأنقلب ـ أي ترجع إلى بيتها ـ فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ـ فمر رجلان من الأنصار ـ فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «**على رَسْلكما، إنها صفيَّة بنت حُيي**»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، فقال ﷺ: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيتُ أن يَقْذفَ في قلوبكما شرًا أو شيئًا**».

٢ ـ عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: لقد رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثًا ما رآها أحد قبلي، ولا يراها أحد بعدي: لقد خرجت معه في سفر، حتى إذا كنا ببعض الطريق، مررنا بامرأة جالسة، معها صبيٌ لها؛ فقالت: يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاءٌ، وأصابنا منه بلاء، يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة، قال: «**ناولنيه**»؛ فرفعته إليه؛ فجعلته بينه وبين واسطة الرحل؛ ثم فغر فاه، فنفث فيه ثلاثًا، وقال: «**بسم الله أنا عبد الله، اخسأ عدوَ الله**»، ثم ناولها إياه فقال: «**القينا في الرجعة في هذا المكان؛ فأخبرينا ما فعل**»، قال: فذهبنا، ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاثٌ، فقال ﷺ: «**ما فعل صبيُّك؟**» فقالت: والذي بعثك بالحق، ما حسسنا منه شيئًا حتى الساعة؛ فاحتزِر هذه الغَنم، فقال ﷺ: «**انزل فخُذ منها واحدةً ورد البقيَّة**» (رواه أحمد، والحاكم، وابن أبي شيبة، ووصف ابن كثير طرق الحديث بأنها جيدة متعددة)، وقال الألباني ـ رحمه الله ـ بعد أن ساق طرق الحديث: «وبالجملة؛ الحديث بهذه المتابعات جيد».

٣ - روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما من مولود يُولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان إلا مريم وابنها».

٤ - عن أبي اليسر ﷺ قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من التردي والهدم، والغرق والحريق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرًا، وأعوذ بك أن أموت لديغًا».

٥ - روى مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه، فإن الشيطان يدخل».

٦ - روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثًا؛ فإن الشيطان يبيت على خيشومه».

٧ - روى البخاري عن جابر ﷺ قال: «اكفئوا صبيانكم عند المساء فإن للجنِّ انتشارًا وخطفةً».

٨ - روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَد، يضرب على كل عقدة مكانها، عليك ليل طويل فارقد؛ فإن استيقظ فذكر الله انحلتْ عُقدةٌ، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان».

٩ - روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: ذُكِرَ رجل عند النبي ﷺ نام حتى أصبح؛ فقال ﷺ: «ذاك رجل بَال الشيطان في أذنيه».

١٠ - ما ورد في الحديث: «إن بالمدينة جنًا قد أسلموا؛ فإذا رأيتم منها شيئًا فآذنوه ثلاثة أيامٍ؛ فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه؛ فإنما هو شيطان» (رواه مسلم).

١١ - روى مسلم عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن عدوَّ الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مراتٍ، فلم

يستأخر؛ ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أن آخذه، والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح مُوثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة».

١٢ ـ روى مسلم عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لما صوَّر الله آدم عليه السلام في الجنة تركه ما شاء أن يتركه؛ فجعل إبليس يُطيفُ به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خُلق خلقًا لا يتمالك».

١٣ ـ أخبر الرسول ﷺ أن «فناء أمته بالطعن والطاعون، وخز أعدائكم من الجن، وفي كل شهادة» (رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح)، ولعل ما أصاب نبي الله أيوب كان بسبب الجن كما قال: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص: ٤١).

١٤ ـ قال ﷺ للمرأة المستحاضة: «إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان» (رواه الأربعة بإسناد حسن) «صحيح الجامع ٣ / ١٩٦».

❐ ❐ ❐

عالم الجن والشياطين

الجنُّ عالم ثالث غير عالم الملائكة والبشر، ولم يخالف في ذلك جماهير طوائف المسلمين واليهود والنصارى، وقد تواترت أخبار الأنبياء بوجود الجن تواترًا معلومًا بالضرورة.

◘ *والجن ثلاثة أصناف:*

فصنف يطير في الهواء، وصنف حياتٌ وكلابٌ، وصنف يحلون ويظعنون، وقد خلقهم سبحانه من النار، والجن منه المسلم ومنه الكافر، وقد يُطلق على الجني اسم روح إذا كان مما يعرض للصبيان، فإذا خَبُثَ وتعرض قالوا: شيطان، فإذا عتى وتمرد قيل: مارد، وإذا كانت له سرعات خيالية قيل: عفريت، والعامر هو الذي يسكن مع النار.

والشيطانُ هو كافرُ الجنِّ، والجن يأكلون ويشربون ويتزاوجون ويتكاثرون، وقد ذكر فريق من العلماء أن التناكح قد يحدث بين الإنس والجن.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد، وهذا كثير معروف»[1].

وقد وردت الأخبار بأن الإنس والجن يموتون، والجن يسكنون الفلوات ومواضع النجاسات كالحمَّامات، والحشوش، والمزابل، والمقابر، ويكثر تواجدهم في الخراب والأسواق، ويكثرون بحلول الظلام، وهم يبيتون في البيوت التي يسكنها الناس، وتطردُها التسميةُ، وذكرُ الله، وقراءةُ القرآن، خاصة سورة البقرة وآية الكرسي منها، والشيطان قبيح الصورة، وهذا مستقر في الأذهان.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩ / ٣٩).

والجنُّ لديهم قدرة على التصنيع والتقدم ولديهم سرعات خيالية، وقد كانوا يصعدون إلى أماكن متقدمة في السماء فيسترقون أخبار السماء، والجن لديه القدرة على التشكل والتلون، ولم يُسخروا لأحد إلا لنبي الله سليمان، فكانوا يقومون له بأعمال كثيرة، ولا حجة لإبليس في إغواء العباد، وقد يُسلط على المؤمنين بسبب ذنوبهم كما في قصة بلعام بن عوراء المذكور في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٥).

والشيطان يخاف ويهرب من بعض العباد كما قال الرسول ﷺ لعمر: «**إن الشيطان ليفر منك يا عمر**»[1].

والجن لا يتمثلون بالرسول ﷺ في الرؤيا، ويعجزون عن الإتيان بمثل المعجزات التي جاءت بها الرسل، وقد ورد أنهم لا يستطيعون فتح باب أُغلق وذكر اسم الله عليه.

◻ *يقول ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى (٤ / ٢٣٣):*

«الجن مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم؛ فإنهم ليسوا مماثلين للإنس في الحد والحقيقة فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساويًا لما على الإنس في الحد، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعًا بين المسلمين».

وقد حذرنا سبحانه من الشيطان وبيَّن عداوته لنا، وأنه يهدف إلى إيقاع العباد في الشرك والكفر، فإن لم يستطع تكفيرهم فيوقعهم في البدع والذنوب والمعاصي، ويحرص على صدهم عن طاعة الله وإفساد العبادات والقربات، وقد يصيب الإنسان بأذى بدني ونفسي كالأحلام المزعجة وإغراء الحيوانات مثل الفأرة بإحراق المنازل بالنار، وإيذائه الوليد حين يولد.

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، وابن حبان (صحيح الجامع ٢ / ٧٤).

من ذلك مشاركته لبني آدم في طعامهم وشرابهم ومساكنهم، والشيطان له جنود وأعوان من الجن كما أن له أولياء من الإنس، وكل إنسان يلازمه شيطانٌ لا يفارقه كما في الحديث الذي رواه مسلم: «**ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة**»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟، قال: «**وإياي، لكن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير**».

والشيطان يسلك أساليب كثيرة في إضلال الإنسان مثل تزيين الباطل، وتسمية الأمور المحرمة بأسماء محببة، وتثبيطه العباد عن العمل ورميهم بالتسويف والكسل، والوعد والتمنية، وإظهار النصح للإنسان، والتدرج في الإضلال وإنسائه العبد ما فيه خيره وصلاحه، وإلقاء الشبهات، ودخوله إلى النفس من الباب الذي تحبه وتهواه، وتخويفه المؤمنين أولياءه، والخروج بالعباد إلي مسالك الإفراط والتفريط، وتحبيب الخمر والميسر والأنصاب والأزلام إليهم، وإضلالهم بالسحر، وعادة ما ينفذون إلي الإنسان من نقاط الضعف، وأمراض النفس كاليأس والقنوط والخوف والجهل.

والنساء وحب الدُّنيا من أسلحة الشيطان، والغناء والموسيقى طريقان يفسد الشيطان بهما القلوب، وهو جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر العبد ربَّهُ خنس، ولذلك سماه سبحانه: ﴿**الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾ (الناس: ٤-٦).

وهذه المسائل التي ذكرناها عن عالم الجن والشياطين باختصار شديد لها أدلتها التفصيلية من كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، فراجعها في كتاب «عالم الجن والشياطين» للدكتور/ عمر سليمان الأشقر ـ حفظه الله ـ.

◻ *رد ابن تيمية -رحمه الله- على منكري الصرع:*

كما يصرع الإنس الإنس، فقد يصرع الجني الإنسي، وهذا من جملة الأذى الذي يستلحقه الجني بالإنس، وقد أنكر البعض أمر الصرع مخالفين

بذلك الشرع والواقع في آن واحد، وممن تولى الرد على هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حيث يقول: «مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٦)»:

«دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥). وفي الصحيح عن النبي ﷺ : **«إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»**.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل: «قلت لأبي: إن أقواماً يقولون: إن الجن يدخل في بدن المصروع، فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه».

❑ ***يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:***

«هذا الذي قاله مشهور؛ فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويُضرب على بدنه ضربًا عظيمًا لو ضرب به جمل لأثر به أثرًا عظيمًا، والمصروع مع هذا لايحس بالضرب، ولا بالكلام الذي يقوله، وقد يجرُ المصروع، وغير المصروع ويجرُّ البساط الذي يجلس عليه، ويحول الآلات.. ويجري غير ذلك من الأمور التي من شاهدها أفادته علمًا ضروريًا بأن الناطق على لسان الإنس، والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان».

ويقول رحمه الله: «وليس في أئمة المسلمين من يُنكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك وادَّعى أن الشرع يُكذِّبُ ذلك؛ فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك».

وذكر في (جـ١٩ / ١٢): «أن ممن أنكر دخول الجن بدن المصروع طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي».

أسباب الصرع الجني:

بيَّن ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (المجموع ١٩ / ٣٩): «أن صرع الجن للإنسي قد يكون عن شهوة وهوى عشق كما يتفق للإنسي مع الإنسي، وقد يكون ـ وهو الأكثر ـ عن بغض مجازاة مثل أن يؤذيهم بعض الإنس، أو يظنوا أنهم يتعمدون أذاهم إما ببول على بعضهم، وإما بصب ماء حار، وإما بقتل بعضهم، وإن كان الإنس لا يعرف ذلك، وفي الجن جهل وظلم فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه، وقد يكون عن عبث منهم وشر بمثل سفهاء الإنس».

التفريق بين الصرع الطبي والصرع الجني:

لابد من التمييز بين الصرعين، منعًا للخلط الحادث، والذي قد يجر لنوع من الضرب المُتلف؛ بزعم أن المريض مصروع صرعًا جنيًا، وأن الضرب سيقع على الجني دون الإنسي، والأمر ليس كذلك، ويتضح أن المرض من نوع الصرع الطبي، وقد ذكرالشيخ أحمد محمود الديب في التفريق بين الصرع الطبي والصرع الجني ما يلي[1].

الصرع العضوي:

إن الصرع العضوي غالبًا ما يُكتشف ـ بإذن الله تعالى ـ أو يتم تشخيصه بواسطة تخطيط الدماغ الكهربائي، وأن ١٥٪ تقريبًا من أنواع الصرع لا يكتشف بالتخطيط الدماغي.

الصرع الروحي:

وأما الصرع الروحي أو الجني فإنه يُكتشف ـ بإذن الله تعالى ـ أو يتم تشخيصه بحدوث تغيرات في حياة المصاب، كعدم مقدرته على النوم لكثرة الأرق والكوابيس المتكررة والمزعجة، وعدم إقباله على الطاعة لله تعالى، والإعراض عن القرآن، والتألم عند سماع آيات الوعد والوعيد.

---

(١) نقلاً عن كتاب «برهان الشرع في إثبات المس والصرع» لعليّ حسن عبد الحميد.

• إن بعض المصابين بالصرع العضوي في حالة نوبة الصرع يَعضُّ على لسانه، ويتبولُ في أثنائها بدون سبب.

• وأما الصرع الجني فيحدث لبعض المصابين عند نوبة الصرع أن يعضُّ على لسانه، أو أن يبول على نفسه، ولكن بعد قراءة القرآن عليه.

• إن المصاب بالصرع العضوي لا يتأثر بقراءة القرآن، وربما يهدأ نفسيًا، ويشعر براحةٍ فقط، وذلك لأن القرآن يُخفف من درجة توتر الجهاز العصبي(١).

• وأما المصاب بالصرع الجني فهو يتأثر جدًا بقراءة القرآن، فيجد ضيقًا في صدره، ونفورًا حتى إنه يصرخ ثم يُصرع.

• إن الصرع العضوي العام هو مرض عصبي يحدث على شكل نوبات من التشنج والاختلاج القوي، يتبعها نوم عميق.

• وأما الصرع الجني فهو تسلط من روح خبيثة شيطانية على جسد الإنس.

• التشنج للصرع العضوي يستمر لمدة دقائق، ولا يستطيع المصروع خلال النوبة الصرعية أن يتحدث مع أي أحد.

• وأما الصرع الجني فإنه يستمر أحيانًا لمدة ساعات يستطيع المصروع أن يتحدث مع المعالج عن طريق الجني فيخبر عن أسباب صرعه للإنسي.

• إن نوبات الصرع العضوي تحدث في أي وقت من ليل أو نهار، أو عند النوم، فإن الباحثين يقولون: إن ربع المصابين بالصرع، يصابون بنوبات صرعية في أثناء النوم.

• وأما المصاب بالصرع الجني فلا يُصرع إلا بعد قراءة القرآن، أو لشيء ضايق الجني.

---

(١) القرآن شفاء لأمراض القلب والبدن، وإذا أصاب الدواء برأ بإذن الله، ومن القصور النظر إلى أن الصرع الطبي وما شابه ذلك من الأمراض لا يُعالج إلا بالأدوية المركبة، عن طريق خريجي كليات الطب، الذين لا يدرسون إلا النواحي المادية للداء والدواء، ويفضلون ذلك على معاني الإيمان.

• إن المصاب بالصرع العضوي يمكنه الشعور بقرب حالة النوبة الصرعية بدقائق، وأما المصاب بالصرع الجني فلا يشعر بنوبة الصرع إلا بعد قراءة القرآن عليه.

• إن المصاب بالصرع العضوي يمكن ـ بإذن الله تعالى ـ أن يشفى تمامًا من الحالة المرضية بالجراحة أو استعمال الأدوية العلاجية، ومن الممكن أن يظل طيلة حياته يتناول الأدوية العلاجية إلى أن يتوفاه الله تعالى.

• وأما المصاب بالصرع الجني فإنه يمكن ـ بإذن الله تعالى ـ أن يشفى بعد خروج الجني من جسده، ويمكن أن يعود إليه الجني مرة أخرى، إذا كان المصاب ضعيف الإيمان، أو ارتكب بعض المخالفات الشرعية، أو تعرض لعمل سحري، أو تسبب في إيذاء جني، والله تعالى أعلى وأعلم. اهـ.

□ *كلام الجني على لسان الإنسي:*

ذكر الشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ: «أنه لا يعلم دليلاً شرعيًا يثبت وقوع كلام الجني على لسان الإنسي، وقال علي حسن عبد الحميد: فإن ثبت شيء من ذلك ـ ولسنا منكريه ـ فيكون دون توسع واستفصال ومحاورات، ثم نقل ماصدَّر به الدكتور حسن مؤذن ـ المدرس في جامعة أم القرى ـ مكة ـ مقاله، حيث قال: «استنطاق الجن في المصروع لا أصل له».

وهذا كله لايتعارض مع الأمر الواقع؛ فإن من المشاهدات الكثيرة، أن المصروع قد يتكلم بغير لسانه المعتاد، أو بلسان لا يُعرف معناه.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «قال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن أقوامًا يقولون: إن الجن لا يدخل في بدن المصروع؛ فقال: يا بُني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه».

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «هذا الذي قاله مشهور؛ فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسانٍ لا يُعرف معناه، ويجري غير ذلك من الأمور التي من شاهدها

أفادته علمًا ضروريًا، بأن الناطق على لسـان الإِنسي، والمحركَ لهذه الأجسام جنس آخر غير الإِنسان» اهـ.

ومع حصـول ما ذكـره ابن تيميـة ـ رحمه الله ـ فـي عالم الواقع إِلا أن الاستـفصـال والمحاورات التي تدور بين المـعالجين والجن قـد صارت مريـبة، والحكايات المنقولة في الكتب وعلى الألسنة كثـيرة!! ومن أمثلة ذلك أن فلانًا مصروع بكذا وكذا جني!!، وأن الجن من قبيلة كذا وهو مسلم ويحضر درس فلان!!، وأن القس فـلان في كنيسة كـذا هو الذي سلطه على المصروع!!.. إلى غـيـر ذلك من الحكايات الكثـيـرة التي لا تكاد تنتـهي والتي تدعـو إلى العجب، وتدل على توسع غير مسبوق، فلو كان خـيرًا لسبقونا إليه، وقد مر بنا قول النبي ﷺ: «**بسم الله، أنا عبد الله، اخسأ عدو الله**».

فأين ذلك من استنطاق الجنِّي [الذي في بدن] المصروع والمحاورات الكثيرة التي صرنا نسمع بها؛ بل وصل الحال بالبعض إلى القول بأنه سيستخدم الجِنِّيَّ في إِيذاء فلان الفـلاني!!، فهل ثبت لدى أحد من هؤلاء أن الصـحابة ﷺ ومن تابعهم بإِحـسان صنعوا ذلك؟! وهذه المسـألة تجرنا للحديث في قـضايا أُخر وثيقة الصلة بها ومنها:

❑ *حكم استخدام الجني:*

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى (١١ / ٣٠٧) ما نصه: «فمن كان من الإِنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبـادة الله وحده وطاعة نبيِّه، ويأمـر الإِنس بذلك؛ فهـذا من أفضـل أولياء الله تعـالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ﷺ ونُوابه.

ومن كان يستعمل الجنَّ في أمور مباحة له، فهو كمن استعمل الإِنس في أمور مباحـة له، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عـما حُرم عليهم ويستـعملهم في مباحـات له؛ فيكون بمنزلة الملوك الذين يفـعلون مثل ذلك،

وهذا إذا قُدِّر أنه من أولياء الله فغايته أن يكون في عموم أولياء الله مثل النبي الملك مع العبد الرسول كسليمان، ويوسف، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله إما في الشرك، وإما في قتل معصوم الدم أو في العدوان عليهم بغير القتل كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم، أو في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة؛ فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافرٌ، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاصٍ إما فاسق، وإما مذنب غير فاسق.

وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات، مثل أن يستعين بهم على الحج، أو يطيروا به عند السماع البدعي، أو أن يحملوه إلى عرفات، ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة، ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به» اهـ.

وهذا الكلام القيم لشيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ يدلك على كثرة المغرورين، الذين مكرت بهم الجنُّ في زماننا نتيجة رفع العلم وبسط الجهل، ومن أمثلة ذلك، هؤلاء الجهال الذين ينادون الجني، وقد تعلقت قلوبهم بالجن ـ من دون الله ـ في جلب النفع ودفع الضر، ولبَّست عليهم الشياطين أمر دينهم؛ فاختلطوا بالنساء وواقعوا ما حرم الله، وشغلوا أنفسهم والدنيا من حولهم بالمحاورات والخزعبلات عن واجب العبودية والقيام بطاعة الوقت.

فأنى هذا الانحراف مما ذكره ابن تيمية في حكم استخدام الجن؟! لقد أساء البعض فهم نصوص الشريعة، وبالتالي فلا غرابة في إساءة فهم كلام الأئمة، يدُلُّك على ذلك جحافل المعالجين، الذين أهدروا معاني العقيدة والشريعة في علاجهم بزعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أجاز استخدام الجن!!.

استمتاع الإنسي بالجني والعكس

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام:١٢٨).

هذه الآية الكريمة تحكى لنا واقع التلذذ والاستمتاع بين الإنس والجن، فبينما يستمتع الإنسي بالجني في اطلاعه على بعض المغيبات، يستمتع الجني بالإنسي في قبوله منه، وتعلق قلبه به، فكلٌ واحدٍ مستمتع بصاحبه.

قال القرطبي-رحمه الله-: «فاستمتاع الجن من الإنس أنهم تلذذوا بطاعة الإنس إياهم، وتلذذ الإنس بقبولهم من الجن حتى زنوا وشربوا الخمور بإغواء الجن إياهم، وقيل: كان الرجل إذا مر بواد في سفر وخاف على نفسه قال: أعوذ برب هذا الوادي من جميع ما أحذر، وفي التنزيل: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (الجن:٦)، فهذا استمتاع الإنس بالجن، وأما استمتاع الجن بالإنس فبما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والكهانة والسحر.

وقيل: «استمتاع الجنِّ بالإِنس أنهم يعترفون أن الجن يقدرون أن يدفعوا عنهم ما يحذرون، ومعنى الآية تقريع الضالين والمضلين وتوبيخُهم في الآخرة على أعين العالمين» اهـ.

بئس الاستمتاع الذي يأتي على حساب الدين، ويقود أصحابه إلى نيران الجحيم، والنفس تزداد حسرة عندما نجد الأبالسة قد راجت حيلتهم وشبهاتهم حتى على بعض المتدينين؛ فظنوا أنهم يُحسنون صُنعًا!! وأنهم يدفعون الظلم عن المظلوم وما دروا أنهم صاروا ألعوبةً في أيدي الشياطين.

حكى لي شاب صغير السن ـ حديث عهد بتدين ـ أنه كان يعالج شابة متزوجة وكانت حالتها مستعصية ـ على حد تعبيره ـ مما اضطر أن يعالجها شهراً كاملاً، وكان يمكث معها منذ الليل حتى الصباح!! فسألته بعد أن فاض بي الكيل، وهل كان زوجها يجلس معكما؟؛ فقال لي: نعم، إلا أنه أحيانًا كان يتعب فينام!!، وهذا مثال من أمثلة كثيرة تزكم الأنوف، لا داعي لذكرها، ففي هذا القدر كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

❑ *هل المرض ضرورة تبيح كل محظور؟!:*

قبل أن نجيب على هذا السؤال، لابد أن نبدأ قبل كل شيء فنوضح عناصر الضرورة الشرعية، وهي ثلاثة[١]:

١ ـ أن تكون أسباب الضرورة قائمة لا مُتوقعة، أي أن تكون المخاوف مستندة إلى دلائل واقعة بالفعل.

٢ ـ أن تكون نتائج هذه الدلائل القائمة بالفعل نتائج تعيينية أو غالبة على الظن بموجب أدلة علمية لا اعتمادًا على إلهام أو تخمين.

٣ ـ أن تكون المصلحة المستفادة من إباحة المحظور بسبب هذه الضرورة أعظم أهمية في ميزان الشرع من المصلحة المستفادة من تجنب المحظور، وإهمال أسباب الضرورة، وبتعبير آخر نقول: أن تكون المفسدة المترتبة على تجنب المحظور أعظم خطراً من المفسدة المترتبة على ارتكابه.

فمن نزلت به مخمصة، أو وقع في مجاعة، أو دخل في صحراء، وخاف على نفسه الهلكة بسبب الجوع ولم يجد إلا ميتة، فعليه أن يأكل القدر الذي يستدفع به الهلكة عن نفسه، وإن لم يفعل فمات دخل النار ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ١٧٣).

---

(١) راجع تحديد النسل لمحمد سعيد رمضان البوطي.

وإن كانت الميتة سُمًا؛ إلا أنها جازت في هذا الموطن لاستدفاع مفسدة ومضرة أعظم وهي مضرة الموت، وكذلك يجوز للإنسان أن يشرب الخمر إذا حدثت له غصة في حلقه ولم يجد إلا الخمر وخيف عليه الموت فعليه أن يشربَ القدر الذي يستدفع به الهلكة، وليس له أن يستزيد من شربها، فالضرورات تُبيح المحظورات، وهي تُقدر بقدرها ويجوز ارتكابُ أخف المضرتين دفعًا لأعلاهما، والتزام أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وهذه بعض القواعد التي قررها العلماء بهذا الصدد،وكلها تدل على يسر الشريعة ورعاية حقوق العباد ومصلحتهم: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥)، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨)، ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦).

ولما كان الناس بين إفراط وتفريط وغُلُوٍّ وجُفُوٍّ ـ في هذه القضية وغيرها ـ فقد يمتنع البعض من ارتكاب المحظور على الرغم من قيام عناصر الضرورة به وانطباق مواصفاتها عليه، كرفض البعض قطع العضو المتآكل إذا كان بقاؤه يهدد حياة صاحبه بالهلاك، أو أن تكونَ الحامل بوضع يهدد حياتها بالخطر إن استمر الحمل، والجنين في مرحلة ما قبل نفخ الروح فيه ثم يمتنعون عن إجهاضها والمحافظة على حياة الأم التامة المستقرة!!.

وفي مقابل هذا الإفراط لجأ البعض إلى التفريط وأدخل في الضرورة ما ليس منها، ولم يكتفوا بذلك بل رتبوا على ضرورتهم المزعومة، استباحة المحرمات، وقالوا كلمتهم المشهورة: «المضطر يركب الصعب!!!».

وهذا ليس بمستغرب، فالسلوك مرآة الفكر، والمقدمات لها نتائجُها، ومعظم النار من مستصغر الشرر، وفساد الانتهاء من فساد الابتداء، وإلا فليس من الضرورة إجهاض المرأة وخصوصًا بعد المائة والعشرين يومًا من بدء

الحمل لكون أن الطبيب غلب على ظنه أن الجنين سيولد مُشوهًا أو ناقص الخلقة، وليس من الضرورة تيقن الحامل أن استمرار الحمل سيعقبها الهزال أو يضطرها إلى ولادة غير طبيعية؛ فالجنين في هذا العمر صار كائنًا محترمًا، قد نُفخت فيه الروح، فلا تُهدر حياته ونُميته لكونه سيولد مشوهًا أو لمرض سيلحق بأمه على افتراض تيقن ذلك.

وكذلك ليس من الضروري ذهاب المصروع وغيره إلى المشعوذين والكهان والعرافين والمنجِّمين أو الذهاب إلى الكنائس وسماع الترانيم الشركية والتصليب عليه، وكذلك الاستعانة بالمقبورين ومناداة الغائبين كالجن للاستعانة بهم في علاج المرضى.

وكذلك ليس من الضرورة التداوي بالخمر، فهي داء وليست بدواء، وقد قال رسول الله ﷺ: «**تَدَاووا عباد الله ولا تَتَدَاووا بحرامٍ**»، وقال: «**وَمَا جَعَلَ الله شفاء أمتي فِيما حُرِمَ عَليها**» كما مرَّ بنا.

فوجب علينا أن نتعرَّف على ضوابط الضرورة الشرعية والعناصر التي ترتكز عليها حتى لا ننتهك حرمات الله بأدنى الحيل، ونُدخل في الضرورة ما ليس منها.

◻ *هل يجوز تعريض النفس لخطر الهلاك بترك التداوي؟:*

تداوى النبي ﷺ وأمر بالتداوي، كما أخذ بالأسباب وأمر باتخاذها، وقال فيما رواه الترمذي: «**اعقل وتوكل**»، ومن المعلوم أن النبي ﷺ ليس مثله إنسان في مقامه العالي واستسلامه لربه جل وعلا، فهو سيد المتوكلين على الله تعالى، ولذا فإن التداوي لا يمنع التوكل ولا جناح على من تداوى إذا كان يرى أن الشافي هو الله تعالى دون دواء، وأن الدواء جعله سببًا لذلك ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠).

والمعافي في الحقيقة هو الله تعالى، وما رواه بعضهم من الأخبار يدل على كراهية التداوي، فذلك إذا كان يرى الشفاء من الدواء ويعتقد أنه لو لم يعالج فلن يسلم!! فهذا لابد من تصويبه وردِّه عن انحرافه فيعتقد وهو يتعاطى الأسباب أن الشافي هو الله لا الشيء الذي تناوله؛ فخالق الأسباب قادر على تعطيلها وهي محتاجة إلى فضل من الله أكبر حتى تُحدث تأثيرها: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٧).

وقد ذكر الزيلعي في شرح الكنز (جـ٦، ص٣٣): «. المريض لو أخبره طبيب بالدواء فلم يتداو حتى مات لم يأثم بخلاف ما إذا جاع ولم يأكل مع القدرة عليه حتى مات حيث يأثم، لأن زوال الجوع بالأكل مُتيقن به باعتبار العادة؛ فإن الله أجرى العادة بإزالة الجوع وخلق الشِّبَع عند الأكل لا يتخلفُ عنه أصلاً، بخلاف المرض عند التداوي فإنه في حَيِّز التردد» اهـ.

ويتضح من هذا السياق أنه رتب الحكم على جريان العادة، وبالتالي فإذا جرت العادة بزوال المرض بالدواء يأثم بتركه، وهذا مفهوم كلامه كما إذا تعين قطعُ عضو ما في جسم إبقاءً على حياة المريض، وبالتالي فلا يجوز تعريض النفس لخطر الهلاك بترك التداوي.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (النساء: ٢٩)، وقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، وعمومًا فحالات الاضطرار تفترق عن حالات الاختيار، وقد يتعين الدواءُ ولا يُغني غيره، وهذا يفترق في الحكم عما إذا وجدت أدوية وعلاجات وبدائل كثيرة.

روى البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ قال: «قدم ناس من عكل أو عُرنية فاجْتَوَواْ المدينة فأمرهم النبيُّ ﷺ أن يشربوا من أبوال إبل الصدقة وألبانها» وفيه أمر الرسول ﷺ لهم بشرب أبوال الإبل حين تعينت شفاء لهم.

وقد رخص النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام بلبس الحرير لحكة ـ جرب ـ كانت بهما مع نهيه ﷺ عن لبس الحرير ووعيده عليه، والضابط هنا هو تعين هذه الوسيلة علاجًا ودواءً ولم يوجد ما يقوم مقامها، والمخاطرةُ بالنفس منهي عنها، ولذلك شرع أكل الميتة والدم ولحم الخنزير للمضطر إبقاءً على حياته بقدر ما يدفع الضرورة، وقطع عضو ما في الجسم إذا تعين إبقاءً على الحياة، وأخذ مال الغير دون رضاه إذا كان زائدًا عن حاجته الأصلية ويدفع عن الآخذ الهلاك، وقد امتنع صاحبه عن إعطائه لمحتاجه.

ومن خلال هذا العرض نتبين أن على الإنسان أن يأخذ بأسباب استدفاع الهلكة عن نفسه وعن غيره ما وسعه الأمر، وأن لا يُعرِّض نفسه للتلف، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «أنه كان في ثقيف رجلٌ مجذومٌ، فأرسل إليه النبي ﷺ: **«ارجع فقد بايعناك»**، وروى البخاري في صحيحه تعليقًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«فِرَّ من المجذوم، كما تفرُّ من الأسد»**.

◻ بعض الأحكام المخففة من أجل المريض:

يقول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في المريض يصلي قاعدًا: «إذا كان قيامه مما يوهنه ويُضعفه صلى قاعدًا، ويقرر الفقهاء: إن المريض إذا خشي من الإتيان بالمطلوبات الشرعية على وجهها ضررًا من ألم شديد أو زيادة مرض أو تأخير برء أو فساد عضو أو حصول تشويه فيه فإنه يعدل إلى الأحكام الخفيفة».

والمرجع في ذلك إلى المريض نفسه إذا غلب على ظنه بأمارة أو تجربة أو قرر طبيب ثقة أن هذا المرض يزداد بمزاولة هذا النوع من الأفعال أو الصيام أو غير ذلك من المطلوبات الشرعية.

قالوا: ويُكتفى بطبيب واحد ولو كان مستور الحال، والتخفيف حال المرض مستفاد من قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦).

ولحديث عمران بن حصين ﷺ قال: كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: «**صلِ قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنبك**» (رواه الجماعة إلا مسلمًا). وزاد النسائي: «**فإن لم تستطع فمستلقيًا ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾** (البقرة:٢٨٦)».

ولما كان المرض من أسباب العجز والضعف فقد شرعت له أحكام فيها تخفيفٌ عن المريض ومراعاة لحاله، ولاسيما في مجال العبادات، فمن ذلك مشروعية الانتقال من استعمال الماء في الطهارة إلى التيمم حينما يكون الماء سببًا في تلف النفس أو العضو أو في زيادة المرض أو بطء برئه أو حدوث تشويه في البدن.

أما في إقامة الصلاة فيأتي المريضُ بما هو قادر عليه من الركوع أو القعود أو الاضطجاع على جنبه أو ظهره ويؤدي من الركوع والسجود حسب استطاعته، وكلما عجز عن حالة انتقل إلى التي تقرب منها في الفعل، ويجوز للمريض التخلُّف عن صلاة الجمعة والجماعة مع حصوله على الفضيلة والثواب كما في الحديث: «**إذا مرض العبد أو سافر كُتِبَ له ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**» رواه البخاري.

ويصح الجمع للمريض بين الصلاتين تقديمًا أو تأخيرًا، يفعل ما هو رفق به، فيجمع الظهر والعصر في وقت أحدهما، وكذلك المغرب مع العشاء فهذا جمع للعذر والحاجة، كما يجوز للمريض الفطر في رمضان إذا أضر به الصوم ويقضيه في حال الصحة، ومثل ذلك الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما أفطرتا وأطعمتا عن كل يوم مسكينًا، وهذا قول ابن عباس وابن عمر ﷺ، ولا يُعلم لهما في الصحابة مخالف، والقضاء هو قول جمهور العلماء.

وقد ورد عن أنس بن مالك الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عزّ وجلّ وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحبلى والمرضع الصوم**» رواه الخمسة وفي لفظ بعضهم: «**وعن الحامل والمرضع**».

وفي الكفارات التي فيها الترتيب بالإطعام بعد الصيام فإن المريض ينتقل إلى الإطعام وذلك مثل كفَّارة الظهار والجماع في نهار رمضان، وكذلك كفَّارةُ الأكل عمدًا في نهار رمضان عند بعض أهل العلم، ومن الأحكام كذلك مشروعية الاستنابة في أداء ركن الحج بأكمله، أو القيام ببعضه كرمي الجمار، وكذلك إباحة الإقدام على محظورات الإحرام إذا احتاج إلى ذلك من لبس ثياب أو حلق رأس، ولكنه يفدي الفدية الخاصة بكل محظور.

ومن الأحكام غير العبادات، إباحة النظر للطبيب من أجل العلاج إلى ما لا يُباح النظرُ إليه في العادة حتى العورة والسوأتين.

وهناك أحكام أخرى تتعلق بمرض الموت منظور فيها لحق الورثة والدائنين من الحجر على المريض في تصرفاته وتبرعاته كالهبة والوقف والوصية والصدقة حجرًا جزئيًا فيما عدا الثلث، وإذا كان الدين مستغرقًا جميع ماله فإن الحجر يكون كليًا في جميع المال، ويلاحظ أن وقف تصرفات المريض في هذه الحالة مُراعى فيها حاجة الورثة والدائنين وحفظ حقوقهم ومصالحهم[1].

وليس من التخفيف على المرضى، تركُ الصلاة بالكلية مثلاً!! بزعم التشويش الذي يجده المريضُ حال دخوله في الصلاة، أو عدم استطاعته الوضوء، «فترك الصلاة كفر» والقلم لم يُرفع إلا عن ثلاثة: عن الصبي حتى يحتلمَ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يُفيق، فعلى المريض أن يصلِّي بحسب حاله، إذ الواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة، حتى لو أداه ذلك إلى أن يصلِّي راقدًا فاقد الطهورين ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦).

---

(١) راجع «رفع الحرج في الشريعة الإسلامية» د/ صالح بن عبد الله بن حميد (ص١٩٤ - ١٩٦).

بعض العلاجات النبوية النفسية

١ـ لكل داء دواء:

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لكل داء دواء، فإن أُصيب دواءُ الداءِ، برأ بإذن الله عزَّ وجلَّ**».

وفي الصحيحين عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء**».

وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ وجاء الأعراب، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: «**نعم يا عباد الله، تداووا، فإن الله عزَّ وجلَّ لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً، غير داء واحد**»، قالوا: ما هو؟ قال: «**الهرم**» رواه أحمد وغيره، وفي لفظ: «**إن الله لم يُنزل داءً إلا أنزل له شفاءً، علمه من علمه، وجهله من جهله**» (رواه أبوداود، والنسائي، وابن ماجه وابن حبان، والترمذي وقال: حسن صحيح).

وفي المسند والسُنن عن أبي خزامة قال: قلت يا رسول الله، أرأيت رُقى نسترقيها ودواءً نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل تردُ من قدر الله شيئًا؟، فقال: «**هي من قدر الله**» (رواه ابن ماجه، والحاكم، والترمذي وقال: حسن صحيح).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات وإبطال قول من أنكرها، ويجوز أن يكون قوله: «**لكل داء دواء**» على عمومه حتى يتناول الأدواء القاتلة والأدواء التي لا يمكن لطبيب أن يُبرئها، ويكون الله عزَّ وجلَّ قد جعل لها أدوية تبرئها، ولكن طوى علمها عن البشر، ولم يجعل لهم إليه سبيلاً؛ لأنه لا علم للخلق إلا ما علَّمهم الله، ولهذا علَّق النبي ﷺ الشفاء على مصادفة الدواء للداء؛ فإنه لا شيء من المخلوقات إلا له ضد؛ فكل داء له ضد من الدواء يعالج بضده.

وفي هذه الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي وأنه لا ينافي التوكل، وفيها رد على من أنكر التداوي، وفي قوله ﷺ: «**لكل داء دواء**» تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه، فإن المريض إذا استشعرت نفسُهُ أن لدائه دواءً يزيله، تعلق قلبه بروح الرجاء، وبَرَدَ من حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء، ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية، وكان ذلك سببًا لقوة الأرواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الأرواح: قويت القوى التي هي حاملة لها: فقهرت المرض ودفعته، وكذلك الطبيب: إذا علم أن لهذا الداء دواءً، أمكنه طلبه والتفتيش عليه».

٢ ـ *الابتلاء سُنَّة ماضية:*

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ١-٣).

وروى البخاري عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، فقلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا، فقال: «**قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ويُمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه، فما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**».

وروى عبد الرحمن بن زيد أن عيسى عليه السلام كان له وزير فركب يومًا فأخذه السبعُ فأكله، فقال عيسى: يارب وزيري في دينك، وعوني على بني إسرائيل وخليفتي فيهم سلطت عليه كلبًا فأكله، قال: نعم، كانت له عندي منزلة رفيعة لم أجد عمله يبلغها، فابتليته بذلك لأبلغه تلك المنزلة.

وقال وهب: قرأت في كتاب رجل من الحواريين: «إذا سلك بك سبيل

البلاء فقرَّ عينًا، فإنه سلك بك سبيل الأنبياء والصالحين، وإذا سلك بك سبيل الرخاء فابك على نفسك؛ فقد خولف بك عن سبيلهم».

وكان عبد الرحمن بن عوف ﷺ يقول: «البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر، أما العافية فلا يصبر عليها إلا الصديقون». وقال: «ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر».

فالابتلاء سُنَّة ماضية، قال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ (الكهف: ٧)، وقال: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ (الملك: ١-٢).

٣ـ *الابتلاء بالمرض:*

عن ابن مسعود ﷺ قال: «دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك وقلت: يا رسول الله إنك تُوعك وعكًا شديدًا، قال: «**أجل، إني أُوعك كما يوعك رجلان منكم**»، قلت: ذلك إن لك أجرين، قال: «**أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفَّر الله بها سيئاته، وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها**» (متفق عليه).

وعن أبي سعيد ﷺ قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو محموم فوضعت يدي فوق القطيفة فوجدت حرارة الحُمى فوق القطيفة؛ فقلت: ما أشد حُمَّاك يا رسول الله، قال: «**إنَّا كذلك معشر الأنبياء، يُضاعف علينا الوجع، فيضاعف الأجر كتضاعف المرض**» (رواه ابن ماجه، والحاكم، والبيهقي، والبخاري في الأدب المفرد).

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس ﷺ: ألا أُريك امرأة من أهل الجنة؟، قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع، وإني أتكشَّف، فادع الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوتُ الله أن يُعافيك**، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشَّف فادع الله لي أن لا أتكشَّف، فدعا لها» (متفق عليه).

وفي الحديث: «**إن الله قال: إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه «عينيه» فصبر عوضته عنهما الجنة**» (رواه البخاري).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عزَّ وجلَّ: من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابًا دون الجنة**» (رواه أحمد، والنسائي، والدارمي، والترمذي، وصححه).

والنصوص في هذا المعنى كثيرة، وكلها تبعث على التسلية في البلوى، وقد ذكر العلماء أن العبد إذا أصيب بمصيبة كان له فيها ثلاث نعم:

الأولى ـ أنها لم تكن بأكبر مما كانت.

الثانية ـ أنها لابد كائنة وقد كانت.

الثالثة ـ أنها لم تكن في دينه.

٤ ـ أمر المؤمن كله له خير:

عن صهيب ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**» (رواه أحمد ومسلم).

وروى سعد بن أبي وقاص ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجبت للمؤمن إن أصابه خيرٌ حمد الله وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد الله وصبر، فالمؤمن يؤجر في كل أمره، حتى في اللقمة يرفعها إلى فيِّ امرأته**» (رواه أحمد، والنسائي، والبزار والبغوي، وعبدالرزاق). وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يُرد الله به خيراً يُصِب منه**» (رواه البخاري).

٥ ـ أشد الناس بلاءً الأنبياء:

عن عائشة ﵂ أنها قالت: «ما رأيت الوجع على أحدٍ أشد منه على رسول الله ﷺ» (رواه البخاري).

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ أشد الناس بلاءً، قال: «**الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل من الناس: يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة، خُفِّف عنه؛ فلا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض ليس عليه خطيئة**» (رواه النسائي، وابن ماجه، وأحمد، والدارمي، وابن حبان، والحاكم، والترمذي وقال: حسن صحيح).

وعن أبي سعيد ﷺ أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك؛ فقال: من أشد الناس بلاءً؟ قال: «**الأنبياءُ، ثم الصالحون، لقد كان أحدهم يبتلى بالقُمَّل حتى يقتله، ولأحدهم كان أشد فرحًا بالبلاء من أحدكم بالعطاء**» (أخرجه البخاري في الأدب، وابن ماجه، والبيهقي، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي).

وعن عبد الله بن مسعود قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يُوعك وعكًا شديدًا، قال: «**إني أوعك وعك رجلين منكم**» **قلت: ذاك بأن لك أجرين**» (رواه البخاري، ومسلم).

وحدَّث أبو عبد الله بن حذيفة عن عمته فاطمة قالت: عُدُت رسول الله ﷺ في نسوة، فإذا سقاءُ مُعلَّق، وماء يقطر عليه من شدة ما يجد من الحمى، فقلت: يا رسول الله، لو دعوت الله فأذهب عنك هذا؟، قال: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» (رواه أحمد، وحسنه الألباني ـ رحمه الله ـ).

وهذا نبي الله أيوب ﷺ ابتلاه الله في أهله وماله وبدنه؛ فصبر واحتسب حتى صار مضرب الأمثال، قال تعالى: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (الأنبياء:٨٣)، وأثنى عليه سبحانه بقوله: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ (ص:٤٤).

لقد دعا نبي الله أيوبُ ربه، وكان الناس قد تباعدوا عنه، بعد أن تعفن جسده، وألقوه بجوار المزابل، كما تذكر كتب التفسير، فما يأس من رحمة الله، بل اشتكى حاله لربه، ورفع أكف الضراعة، فما خيب رجاءه،

وكان الفرج وكشف الكرب من تحت قدمه، وقيل له: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (ص:٤٢)، فقام معافى من مرضه، وهذا فعل الله بأوليائه إذا تعلقت قلوبهم به سبحانه، فهو الذي يُجيب المضطر ويكشف الضر.

٦ـ إذا أحب الله قومًا ابتلاهم ورفع بذلك درجاتهم وكفَّر خطاياهم:

ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**إذا أحب الله تعالى قومًا ابتلاهم فمن صبر فله الصبر، ومن حَرِجَ فله الحرج**» (أخرجه أحمد)، وفي رواية: «**ومن جزع فله الجزع**».

وعن عائشة قالت: قال نبي الله ﷺ: «**ما من مرض أو وجع يصيب المؤمن إلا كان كفارة لذنبه، حتى الشوكة**» (رواه أحمد والشيخان)، وفي الحديث: «**ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما فوقه إلا حطَّ الله خطاياه كما تحط الشجرة ورقها**» (أخرجاه في الصحيحين).

وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مُسلم يُشاك بشوكة فما فوقها، إلا رفعه الله بها درجة، وحطَّ عنه بها خطيئةً**» (أخرجه مسلم، والترمذي، وأحمد).

وهذه الأحاديث وغيرها فيها الرد البليغ على من يزدري المريض ويحتقره، أو يتشفَّى فيه وينسبه لقلة التقوى، ولا دليل عنده ولا شاهد لديه إلا الجهل بدين الله، كيف لا وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه أنس ﵁: «**إن عِظم الجزاء مع عِظَمِ البلاء، وإن الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السُخط**» (رواه الترمذي، وابن ماجه، وحسن الألباني إسناده).

٧ـ العجب في أن لا يكون:

ليس العجب في أن يُبتلى العبد، ولكن العجب في أن لا يكون ذلك، ففي الحديث: «**مثل المؤمن مثل خامة الزرع، لا تزال الريح تميله، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجر الأرز، لا تهتز حتى تستحصد**» (أخرجه البخاري، ومسلم).

وفي الحديث الآخر: «**المؤمن كمثل خامة الزرع تفيئها الريح: تصرعها مرةوتعدلها أخرى حتى تهيج، ومثل الكافر كمثل الأرزة المجدبة على أصولها، لا يفيئها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة**» (أخرجه البخاري، ومسلم).

وروى مسلم في صحيحه: «**إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك، أو الحمى كمثل حديدة تدخل النار؛ فيذهب خبثها ويبقى طيبها**».

وقد ورد أن الحمى والمرض يكونان طهوراً، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الحمى استأذنت، فقال: من أنت؟ قالت: أنا أمُّ مِلْدَمَ. قال: أتنهدين إلى أهل قُباء؟ قالت: نعم**. قال: فأتتهم، فحُمُّوا ولقوا منها شدة، فاشتكوا إليه، وقالوا: يا رسول الله، ما لقينا من الحمى؟ قال: «**إن شئتم دعوت الله عزَّ وجلَّ فكشفها عنكم، وإن شئتم كانت لكم طهوراً**»، قالوا: بلى، تكون لنا طهوراً (أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي).

وعن النبي ﷺ: «**ما من مسلم يُصرع صرعةً من مرض إلا بُعث منها طاهراً**» (رواه الطبراني، والبيهقي، وقال المنذري رواته ثقات).

ونحن لا نتمنى البلاء، ولكن نسأل ربنا العافية واليقين؛ فإذا وقع البلاء وكان المرض والشدة فعلى العبد أن يصبر، وأن يمرر هذه النصوص الشرعية على عقله وعلى قلبه، وأن يعلم أن ساحة الصبر له أوسع حينئذ؛ فالمرض كفَّارة وطهر، والفارق كبير بين المؤمن والمنافق، وأن الدنيا سجن المؤمن وجنَّة الكافر، وأن ابتلاء لحظات يعقبه سعادة دهر خير من لذة ساعة يعقبها ألم دهر. وفي الحديث: «**وما أعطى أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**» (رواه البخاري، ومسلم).

وقد مر بنا حديث المرأة السوداء التي أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أُصرع، وإني أتكشف فادعُ الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنَّة، وإن شئت دعوتُ الله أن يُعافيك**»، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشَّفُ؛ فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها. (رواه أحمد، ومسلم، والبخاري، والنسائي).

فقف مع البلاء بحسن الأدب، وتجرع المرارة من غير تَعَبُّسٍ، وإياك أن تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمُك، واحذر أن تُظهِر الشماتة أو الفرحة في بلوى أخيك فيُعافيه الله ويبتليك.

٨ - *يكتب للمريض أجر ما كان يعمل من الخير وهو صحيح:*

وهذا من رحمة الله بعباده؛ فإذا كان المرض حائلاً دون وقوع الكثير من الطاعات، فإن المؤمن إذا كان حريصًا على العمل الصالح، حال صحته؛ فإن أجره يجرى عليه حال مرضه.

ففي الحديث: «**من كان له عمل يعمله؛ فشغله عنه مرض أو سفر؛ فإنه يُكتب له صالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم**» (أخرجه البخاري بمعناه).

وقال أبو بردة، سمعت أبا موسى مرارًا يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثلُ ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**» (رواه أحمد، وأبوداود، والبخاري، والبيهقي).

وورد عن النبي ﷺ: «**ما أحد من المسلمين يُصاب ببلاء في جسده إلا أمر الله الحفظة الذين يحفظونه؛ فيقول: اكتبوا لعبدي كل يوم وليلة مثل ما كان يعمل من الخير، ما دام محبوسًا في وثاقي**» (رواه أحمد، والبيهقي، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي).

فاجتهد في طاعة الله حال صحتك وتعرَّف إلى الله حال رخائك، عساه سبحانه يتداركك برحمته حال سقمك ويعرفك حال شدتك.

٩ - استرجع فالأجر عظيم والخلف كبير:

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

أخبر سبحانه أنه يبتلي عباده ـ أي: يختبرهم ويمتحنهم ـ فمن صبر أثابه الله ومن قنط حل به عقابه، والصابرون هم الذين علموا أنهم ملك لله يتصرَّفُ في عبيده بما يشاء، وأنه لا يضيع لهم مثقال ذرة؛ فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيدُه وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة، ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك فقال: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ . أي: ثناء من الله عليهم ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

قال عمر ﵁: «نعم العدلان ونعمت العلاوة»، وذلك لكونهم أُعطوا ثوابهم وزادهم سبحانه من فضله.

وعن أم سلمة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها**، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها؛ فأخلف الله لي رسول الله ﷺ» (أخرجه مسلم، ومالك، وأحمد، وأبوداود).

وروى ابن ماجه والإمام أحمد بسند ضعيف عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الحسين بن عليّ، عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم ولا مسلمة يُصاب بمصيبة فيذكرها، وإن طال عهدها** ـ قال عبّاد قدم عهدها ـ **فيحدث لذلك استرجاعًا، إلا جدد الله له عند ذلك، فأعطاه مثل أجرها يوم أُصيب**».

١٠ ـ *دواعي الصبر على البلاء:*

لم يخلق ربنا جل وعلا شراً محضاً؛ بل هو باعتبار إضافته إلى الله خير، والخير كله بيديه سبحانه والشر ليس إليه، وابتلاء المؤمن لا يخلو من فوائد مثل تربية المؤمنين، وصقل معادنهم، وتمحيص ما في

قلوبهم؛ فهم ينضجون بالمحن كما ينضج الطعام بالنار، ومن ذلك تطهير الصفِّ المؤمن من أدعياء الإيمان من المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ (العنكبوت: ١٠). وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١). هذا بالإضافة إلى رفع الدرجات ومضاعفة الحسنات وتكفير الخطيئات، ففي الصحيحين عن عائشة ﵂ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما من مصيبة تُصيب المؤمن إلا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكةُ يشاكها**».

وفي المسند من حديث أبي هريرة ﵁: «لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» (رواه أحمد، والترمذي، وقال حسن صحيح، والحاكم، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي).

وقال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة من المفاليس.

ومعرفة هذه المعاني مما يعين على الصبر؛ فإن الله سبحانه وتعالى جعل الفتنة والابتلاء للمؤمنين، وهذا المعنى من سمات هذه الدار التي نعيشها، فحياة الإنسان محفوفةٌ بالمتاعب والمشقة؛ فكلما كان العبد بالله أعرف كان على قضائه أصبر ولأمره أطوع.

◻ ***وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ أن الصبر على البلاء ينشأ من أسباب عدة:***

١ ـ شهود جزائها وثوابها.

٢ ـ شهود تكفيرها للسيئات ومحوها لها.

٣ ـ شهود القدر السابق الجاري بها وإنها مقدرة في أم الكتاب قبل أن يُخلق فلابد منها، فجزعه لا يزيده إلا بلاءً.

٤ ـ شهود حق الله عليه في تلك البلوى وواجبه فيها الصبر، بلا خلاف بين الأمة أو الصبر والرضا على أحد القولين، فهو مأمور بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى فلابد له منه وإلا تضاعفت عليه.

٥ ـ شهود ترتبها عليه بذنبه كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠)، فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة؛ فشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم الأسباب في دفع تلك المصيبة.

قال عليّ بن أبي طالب ﷺ: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رُفِعَ إلا بتوبة».

٦ ـ أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضى له به سيده ومولاه؛ فإن لم يوف قدر المقام حقه فهو لضعفه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدى الحق.

٧ ـ أن يعلم أن هذه المصيبة دواء نافع ساقه إليه الطبيبُ ـ العليم بمصلحته الرحيم به ـ فليصبر على تجرعه ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلاً.

٨ ـ أن يعلم أن عُقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لا تحصل بدونه فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره، قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢١٦)، وقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء:١٩).

٩ ـ أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه، فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا، فإن ثبت اصطفاه واجتباه، وخلع عليه خُلع الإكرام وألبسه ملابس الفضل وجعل أولياءه وحزبه خدمًا له وعونًا له، وإن انقلب على وجهه

ونكص على عقبيه طُرد وصُفِعَ قفاه وأُقصى، وتُضاعف عليه المصيبة وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها وزيادتها، ولكن سيعلم بعد ذلك بأن المصيبة في حقه صارت مصائب، كما يعلم الصابر أن المصيبة في حقه صارت نعمًا عديدةً، وما بين هاتين المنزلتين إلا صبر ساعة وتشجيع القلب في تلك الساعة، والمصيبة لابد أن تقلع عن هذا وهذا، ولكن تقلع عن هذا بأنواع الكرامات والخيرات، وعن الآخر بالحرمان والخذلان لأن ذلك تقدير العزيز العليم وفضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

١٠ ـ أن يعلم أن الله يربى عبده على السراء والضراء والنعمة والبلاء فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال؛ فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال، وأما عبد السراء والعافية الذي يعبد الله على حرف فإن أصابه خيرٌ اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته.

فلا ريب أن الإيمان الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة وأما إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبد ويبلغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمان يثبت على البلاء والعافية؛ فالابتلاء كير العبد ومَحَكُّ إيمانه، فإما أن يخرج تبرًا أحمر وإما أن يخرج رغلاً محضًا، وإما أن يخرج فيه مادتان ذهبية ونحاسية؛ فلا يزال به البلاء حتى يخرج المادة النحاسية من ذهبه ويبقى ذهبًا خالصًا. اهـ.

❐ ❐ ❐

الاستعاذة والاستغاثة والاستعانة بالجن محرمة

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (الجن: ٦).

◻ *قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:*

أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها، كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وزمامه وخفارته فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا أي خوفًا وإرهابًا ورعبًا وذعرًا، حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم.

كما قال قتادة: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (الجن: ٦)، أي إثمًا وازدادت الجن عليهم بذلك جرأة.

قال السدي: كان الرجلُ يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أُضَرَّ أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي.

قال قتادة: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجنُّ الأذى عند ذلك.

◻ *روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال:*

كان الجن يَفْرقون «يخافون» من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، فكان الإنس إذا نزلوا واديًا هرب الجنُّ فيقول سيد القوم نعوذ بسيد أهل هذا

الوادي، فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون» اهـ.

والاستعاذة عبادة فمن صرفها لغير الله فقد كفر وأشرك، ولذلك قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «ولا خفاء أن الاستعاذة بالجنِّ دون الاستعاذة بالله كُفر وشرك» اهـ.

ولا يجوز للإنسان أن يستغيث بغائب أو بحاضر بما لا يقدر عليه إلا الله، والناظر في طريقة السحرة والكهان يجد أنها تقوم أساسًا على الاستعانة بالجن والشياطين، فهم المحل القابل المناسب لتنزلهم عليهم: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢١-٢٢٣).

والشياطينُ لا تخدم هؤلاء الفجرة حتى يكفروا بالله تعالى، وهم يستخدمون عزائم يقولونها وطلسمات يكتبونها فيها شرك وكفر صريح، وأحيانًا يرددون بعض آيات القرآن، فيتوهَّمُ الجهَّالُ صحة ما يفعلونه من استعاذة واستغاثة بالجن، فالواجب أن نكون على حذر من الشرك والكفر، وأن نميز بين الغث والثمين، وقد أبدلنا الله الخير كله.

عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**» (رواه مسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغني البارحة، قال: «**أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك**» (رواه مسلم).

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: **«يا أرض ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما يدب عليك، أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد»** (رواه أبوداود، وحسنه الحافظ ابن حجر).

وساكن البلد: هم الجنُّ، والأسود: أي الشخص، ويحتمل أن يكون المراد بالوالد: إبليس، وما ولد: الشياطين.

❑ *الجن لا يعلمون الغيب:*

سخر الله الجن لنبيه سليمان ﷺ، فلما مات ظل منتصبًا، حتى أكلت دابة الأرض عصاه المتكئ عليها، كل ذلك والجنُّ لا تعلم بوفاته، ولذلك قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (سبأ: ١٤).

والجنُّ كانوا يسترقون خبر السماء، فلما بُعث رسول الله ﷺ زيد في حراسة السماء؛ فقلما يستطيع الجنُّ استراق السمع بعد ذلك؛ فمن الخطأ نسبتهم ونسبة من تتنزل عليهم من العرافين والكُهَّان إلى معرفة الغيب، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ (الجن: ٢٦-٢٧)، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل: ٦٥).

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهؤلاء الجهال لا يجوز سؤالهم ولا تصديقهم في ادعاء الغيب.

ففي الحديث: **«من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»** (رواه أحمد ومسلم)، وفي المسند **«من أتى عرافًا أو كاهنًا، فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد»**.

أما سؤال الكهنة والعرافين بقصد امتحانهم فهو جائز، لأن النبي ﷺ سأل ابن الصياد فقال: «**ما يأتيك؟**» فقال: يأتيني صادق وكاذب، قال: «**ما ترى؟**»، قال: أرى عرشًا على الماء، قال: «**فإني قد خبأت لك خبيئًا**»، قال: الدخ، الدخ، قال: «**اخسأ، فلن تعدو قدرك، فإنما أنت من إخوان الكهان**» (رواه الشيخان).

وهؤلاء الكهنة هم رسل الشيطان كما بيَّن الإمام ابن القيم - رحمه الله - وقد يصدقون أحيانًا، وهذا ما يلتبس على الأغرار، وصدقهم هذا قد يكون بسبب الكلام العام المجمل مثل: تحدث لك مفاجأة!! وقد لا يمر يوم إلا وتحدث فيه مفاجآت، وصدقهم قد يرجع إلى الفراسة وربط المقدمات بالنتائج ونحو ذلك، أو أن تكون هذه الكلمة الصادقة مما خطفه الجنُّ من خبر السماء.

ففي الصحيحين ومسند أحمد عن عائشة قالت: سُئل رسول الله ﷺ عن الكُهَّان فقال: «**ليسوا بشيءَ**، فقالوا يا رسول الله: إنهم يحدثون بالشيء يكون حقًا، فقال رسول الله ﷺ: **تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنّي؛ فيقرها في أذن وَلِيِّه، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة**».

والإنسان كما هو معلومٌ سريع النسيان، فينسى المائة كذبة، وقد يتذكر المرة التي صدق فيها الكاهن، وأنه قال كذا يوم كذا فحدث كما قال!! وما أكثر أدعياء معرفة الغيب في زماننا هذا ممن تتلاعب بهم الشياطين؛ فالواجب علينا أن ننكر عليهم هذا الضلال ونوضح لهم الحق، ونمنعهم من نشر خزعبلاتهم في الصحف والمجلات وهنا وهناك، حسمًا لباطلهم، ودفعًا لمادة الشر والفساد ما وسعنا الأمر.

ففي الحديث الذي رواه مسلم: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**».

وفي السُنن من حديث أبي بكر الصديق ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

❑ *صدقك وهو كذوب:*

كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «لست بالخِبِّ ولا الخِبُّ يخدعني»، أي ليس هو بالماكر المخادع، ولا من ينخدع بأمثال هؤلاء، والشيطان فقيه في الشر، ومن فقهه في الشر أن يُرضي الإنسان، حتى يظن أنه يُحسن الصنع، في الوقت الذي يقوده فيه إلى حتفه وهلاكه، وكما في الإنسان من ظلم وجهل فكذلك الأمر بالنسبة للجني، وقد لبَّست الشياطين على أدمغة الخلق، فسمعنا بعض من يستعينون بالجن يقولون: هذا الجنُّ أخٌ مسلم! أستخدمه في الخير، وقد قال لي إن احتجتني في كذا فنادي باسم كذا!! إلى غير ذلك من العبارات الكثيرة التي تدل على أن الشيطان قد أخذ حظه ونصيبه الذي قطعه على نفسه حين قال: ﴿لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ (النساء:١١٨).

وشأنُ الشيطان، شأن من يدس السم في العسل، وهو عندما يدعو المرء إلى المعصية يزعم أنه ينصح له ويريد خيره، وقد أقسم لأبينا على أنه ناصح له ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف:٢١).

ومن أساليب الشيطان في الإضلال، أن يسير بالإنسان خطوة خطوة، لا يكل ولا يمل، كلما روّضه على معصية ما قاده إلى معصية أكبر منها، حتى يجعله يكفر ويخرج من الملة ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ (الحشر:١٦).

وتلك سُنَّة الله في عباده أنهم إذا زاغوا سلَّط عليهم الشيطانَ، وأزاغ قلوبهم ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف:٥). ونحن لا ننفي وجود الجن المسلم، ولا ننكر أن الشيطان قد يصدق، ولكن لابد من حيطة وحذر؛ فسوق العداوة قائمة ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ (فاطر:٦).

فاعــرف عدوك واحذر مـكره وخديعتـه، من باب عرفت الشـر لا للشر ولكن لتوقيه، ومن لايعرف الشر من الخـير يقع فيه. والأصل في الشيطان أن يكذب عليك ويُغَـرِّرُ بك؛ فكيف تطمـئن لأخـوته، أو لقولـه عن نفسـه إنه مسلم، وهذه حبائله ومكائده، قد أوقعك فيها!!

روى أبو أيوب الأنصاري ﷺ أنه كانت له سهوة فيها تمر، وكانت تجيء الغول فتأخـذ منه؛ فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: «**اذهب فإذا رأيتـها فقل باسم الله أجيبي رسول الله**»، قال: فأخذها فحلفت أن لا تعود، فأرسلها، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ما فعل أسيرك؟**» قال: حلفت أن لا تعود قال: «**كذبت، وهي معاودة للكذب**»، قال: فأخذها مرة أخرى، فحلفت أن لا تعود، فأرسلها، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: «**ما فعل أسيرك؟**»، قال: حلفت أن لا تعود، فقال: «**كذبت وهي معاودة للكذب**»، فأخذها فقال: ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى النبي ﷺ، فقالت: إني ذاكرةٌ لك شيئًا، آية الكرسي اقرأها في بيتك فلا يقربك شيطان ولا غـيره؛ فجاء إلى النبي ﷺ فقال: «**ما فعل أسيرُك**» قال: فأخبـره بما قال، قال: «**صدقت وهي كذوب**» (رواه أحمد، والترمذي وقال: حسن غريب).

وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن الشيـطان قال له: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنك لايزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تُصبح، فقال له النبي ﷺ: «**صدقك وهو كذوب**».

❐ ❐ ❐

انحراف وشعوذة لا علاج

ما أكثر صور الشعوذة والانحراف التي تتم في علاج الصرع وغيره،

ومن هذه الصور:

١ ـ *الــزار:*

جاء في مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية (ص٣٦٥) ما يلي[١].

الزار: نوع من دجل المشعوذين الذين يُوحون إلى ضعاف العقول والإيمان بأن المريض أصابه مس من الجن، وأن لأولئك الدجالين القدرة على علاجه وتخليصه من آثار هذا المس بطرقهم الخاصة، ومنها إقامة الحفلات الساخرة المشتملة على الاختلاط بين الرجال والنساء بصورة مُسْتَهْجَنَةٍ والإتيان بحركات وأقوال غير مفهومة.

والزار بطريقته المعروفة أمر مُنْكر وبدعة سيئة لا يقرها الدين، ويزداد نكراً إذا اشتملت حفلاته على شرب الخمور وغير ذلك من الأمور غير المشروعة التي أشار إليها السائل، وأما ما قد يصاحب حفلات الزار من إقلاق الراحة والأضرار الأخرى التي ذكرها السائل فهو أمر لا تقره الشريعة ويستطيع من لحقه شيء من هذه الأضرار أن يلجأ إلى الجهات المختصة لمنع هذه الأضرار عنه، وبهذا علم الجواب عن السؤال، والله أعلم.

٢ ـ *استرضاء الجني بالذبح له وغيره من المحرمات:*

قال الأشقر في كتابه: «عالم الجن والشياطين» ما نصه:

«وبعض الناس يحاولون استرضاء الجني الذي يصرع الإنسان بالذبح له،

---

(١) المفتي: فضيلة الشيخ/ أحمد هريدي ـ رحمه الله ـ ١١ محرم سنة ١٣٨١ هـ.

وهذا من الشرك الذي حرَّمه الله ورسوله، وروى أنه نهى عن ذبائح الجن. وقد يزعم بعض الناس أن هذا من باب التداوي بالحرام، وهذا خطأ كبير، فالصواب أن الله لم يجعل الشفاء في شيء من المحرمات، وعلى القول بجواز التداوي بالمحرمات كالميتة والخمر؛ فلا يجوز أن يستدل بذلك على الذبح للجني، لأن التداوي بالمحرمات فيه نزاع لبعض العلماء، أما التداوي بالشِرِ والكفر فلا خلاف بين العلماء في تحريمه، ولا يجوز التداوي به باتفاق». اهـ.

وقد يعصي المعالج ربه إرضاء للجني وذلك بلبس الذهب أو شرب الدخان أو حلق اللحية، أو غير ذلك من الأمور المحرمة، ومن المعلوم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وشفاء المريض من صرعه لا يكون بالوقوع في الشرك والمحرمات.

٣ ـ *حرق الجني وقتله وسجنه وتعذيبه:*

يلجأ البعض إلى عزائم وطلاسم شركية لإيقاع الأذى بالجني الصارع، ويستخدمون في ذلك كتب السحر، ويأتون الأفعال الَّتي يطلبها الجني من الساحر الخادم له، وقد يستعين الساحر بالجني الذي يخدمه لاستخراج الجني الصارع للمريض، أو يقوم بالإقسام على الجني الصارع بسيده من الجن، ولا ينفك ذلك عن التقرب إلى الجني بأنواع معينة من الشرك، ثم يطلب منهم سجن هذا الجني حتى لا يصرع هذا الآدمي.. إلخ.

هذه خزعبلاتٌ وشعوذاتٌ، ومن عجيب الأمر أن تتسرب هذه المعاني والتعبيرات لبعض المتدينين!! فتسمع من يقول: أنا أحرقته بآية كذا، وقتلته أو سجنته بسورة كذا!!، ولا يبعد أن يعود المصروع إلى حالته بعد لحظات!! فهلا اقتصروا على ما وردت به نصوص الشريعة، وهلا نطقوا بما نطقت به، ولم يرجموا بالغيب ويتكلفوا علم ما لم يعلموا!!.

٤ ـ *استعمال البخور:*

وهذه من جملة أفعال المشعوذين والدجاجلة، إرضاءً للجن والشياطين لا لطيب رائحة البخور.

٥ ـ *عجائب وغرائب للمشعوذين:*

أباطيل المشعوذين لا تكاد تنتهي، ومن جملتها استخدام الخرز وتعليقه، وكتابة اسم الأم في بطاقة للعلاج به!! وإدارة المصحف على المفتاح، وإحراق بدن المصروع في أجزاء معينة، وإظلام المكان، والخلوة بالنساء!!.

□ *هل زادت نسبة حالات الصرع؟!:*

كل من اختلط بالناس لابد أن يسمع صخبًا وضجيجًا، عاليًا يتعلق بكثرة الشكاية من حالات الصرع هنا وهناك، حتى ليكاد المرء يظن أنها ظاهرة من جملة الظواهر التي نعاني منها، وإلا فما سبب انتشار شرائط المعالجين، وكثرة كتب الجن والشياطين، والجلسات المطولة على حالات الصرع وحكاياتها، والأسئلة الحائرة الكثيرة التي تثور حول هذا الموضوع، والإعلان عن مراكز العلاج الروحاني هنا وهناك!! وإن كنا نعلم أن الدنيا قد صارت أشبه بقرية صغيرة، تتداول فيها الأخبار بسرعة كبيرة، ولكن هذا لا يمنع الانطباع بأن هناك أسبابًا أخر تقف وراء هذه الظاهرة، ومن جملة ذلك:

١ ـ *الوهم وأثره في المرضى والمصابين*(١):

قال الأستاذ / خليل إبراهيم أمين:

الوهم: مرض نفسي خبيث، والإنسان إذا تسلطت عليه الأوهام فمن الصعب الخروج منها والإنسان في حياته لا يخلو من أوهام تعتريه؛ بل إن حياة بعض الناس في كثير من الأمور أوهام في أوهام، بل قد يصل الحد إلى

---

(١) «برهان الشرع في إثبات المس والصرع» (ص٤٦).

أن يكون تأثير الأوهام أكبر بكثير من الحقائق ومع انتشار «العلاج بالقرآن الكريم» ورؤية الناس لبعض حالات الصرع، وانتشار القصص، سواء من المترددين للعلاج أو من بعض الكتب أصبح الوهم يدب في نفوس كثير من الناس وسط مشاكل الحياة الكثيرة؛ حتى من هُم على استقامة وصلاح في دينهم لم يسلموا من دائرة الوهم.

وقد كان لخوف الناس من الجنِّ والشيطان دور كبير في حصول هذا الوهم، وبدأ كثير من الناس يربط بين مرض معين أصابه، أو مشكلة في حياته، أو خلافات زوجية عادية أو حادثة معينة حدثت له، وبين أمور أخرى؛ فأخذ يُقلِّبُ في ذاكرته عن سبب هذه المشكلة، أو تلك الخلافات؛ فاعتقد أن فلانًا من الناس قد أصابه بعينٍ، أو أنه وقع يومًا ما فأصابه الجن بالمس، ثم يحكي لك أعراضًا يحسُّ بها.

وفي الحقيقة: إن مرض الوهم إذا أصاب الإنسان، كان أخطر من المرض الحقيقي؛ لأن مس الجن يزول بفضل الله أمام الرقية بالقرآن الكريم، أما مريض الوهم فهو في دُوَامَةٍ لا تنتهي.

كذلك يتوهم بعض الناس أنه مصاب بالسِّحر، أو أن فلانًا من الناس قد سحره بسبب مشكلة بينه وبينه، فيتشوش فكره، وتضطرب حياته، ثم يوحي لنفسه بأنه مسحور، فإذا تملك الوهم بإِنسان ما بأن به مسًا من الجن، أو أنه مسحور: يتشوش فكره وتضطرب حياته وتختل وظائف الغُدد، وتظهر عليه علامات المس أو السحر، وربما يحدث له تشنجات أو إِغماء بما يسمى في علم النفس الحديث: «الإيحاء الذاتي».

وهنا يبدأ القلق المصحوب بالخوف الشديد يدب في حياته؛ فيضطرب الجهاز العصبي وتتوتر عضلات القلب، وتظهر أعراض جسدية، ويشعر المريض بألم في منطقة القلب، ويزداد الألم مع ازدياد الخوف، وتظهر

أعراض أخرى نتيجة للنشاط المضطرب للجهاز العصبي، وهنا لا يوجد عضو في جسم الإنسان إلا ويتأثر بحالة القلق هذه، فالقلب تزداد ضرباته ـ وقد لا تنتظم ـ والدم يرتفع ضغطه، والجهاز الهضمي يضطرب وتحدث آلام في البطن، وتضطرب الحالة الجنسية للمريض، فيشعر بالكُره لزوجته، وتتوتر عضلات الجسم، ويصيب التوتر العضلي منطقة الرأس؛ فيحدث الصداع النصفي.

والحقيقة أن المترددين على المعالجين بالقرآن الكريم، نسبة كبيرة منهم مرضى بالوهم والقلة القليلة من به مسٌّ من الجنِّ، حتى وإن كان به بعض الأعراض؛ فالحقيقة التي يؤكدها الطب النفسي: أن استمرار القلق يسبب فعلاً أمراضًا عضوية حقيقية، وتصبح الآلام صادرة عن إصابة في الجسد، وليس مجرد توترات وتقلصات في الجسد.

فقد يسبب القلق قرحة المعدة والذبحة الصدرية وأمراضًا أخرى؛ فيتغير شكل حياته، وتتقلص طموحاته، ويهمل عمله، وتضطرب حياته الزوجية، ويصبح أسير الوهم والخوف.

٢ ـ *الخلط بين المسّ والحسد:*

بين المس والحسد مواءمة وموافقة من حيث الأثر والتأثير[1]، ولست أظن أحدًا من المسلمين يُنكر الحسد وآثاره، فمن لم يستوعب عقله قضية المس والصرع فليكن أثر الحسد ـ إن أقر به ـ مُقرِّبًا ذلك لفهمه، أو ميسرًا ذلك لعقله.

◻ *قال الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ـ رحمه الله ـ:*

«فإذا حسد الحاسد، ووجه انفعالاً نفسيًا معينًا إلى المحسود، فلا سبيل لنفي أثر هذا التوجيه لمجرد أن ما لدينا من العلم وأدوات الاختبار لا تصل إلى سر هذا الأثر وكيفيته؛ فنحن لا ندري إلا القليل من هذا الميدان».

---

(١) المصدر السابق بتصرف (ص٣١).

والعين وردت إليها الإِشارة في ثلاث آيات من القرآن الكريم، وورد بها جملة أحاديث، منها الصحيح لذاته، ومنها الصحيح لغيره، وثبتت من تجربة البشر، ومن أنكر العين ليس عنده برهان إلا عدم العلم بصلة النفس بالنفس، وصلة الإنس بالجن، وعدم العلم ليس علمًا بالعدم، وخالق النفوس والجن والإِنس أعلم بأثرهم، وكثيرًا ما التصقت آثار العين بآثار الجن.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه..**».

٣ ـ *عدم معرفة الفرق بين الإيحاء والوسوسة وبين الصرع:*

قال الدكتور / إبراهيم كمال أدهم في كتابه «العلاقة بين الجن والإنس»[١]:

إلا أن الفرق بين من هو في حالة إيحاء أو وسوسة، وبين من هو في حالة صرع وتلبُّسٍ شيطاني يمكن أن نتبينها من طريقة شفاء المصروع:

أولاً ـ في حالة الوسوسة لا يمكن[٢] أن يشفى الشخص من جلسة واحدة، بينما نجد في حالة الصرع أو المسِّ الروحي أن الشفاء يتم في جلسة واحدة.

ثانيًا ـ إن المصاب بحالة الوسوسة عندما يشفى بعد عدة جلسات نجده بعد مدة يعود إلى نوع آخر من الوسوسة، بينما الذي كان مصابًا بحالة الصرع، إذا شُفي فنادرًا ما يعود إلى الصرع إذا اتبع نصائح الطبيب المداوي.

ثالثًا ـ إن من يكون مريضًا بالوسوسة يحتاج إلى علاج يعتمد على الإيحاء النفسي، بينما المصاب بالصرع لا يحتاج إلى إيحاء نفسي، ولا يؤثر فيه هذا الإِيحاء؛ لكنه حين يُقرأ عليه بعض آيات القرآن الكريم المشهود لها

---

(١) المصدر السابق بتصرف (ص٩٢-٩٤).

(٢) لو قال عادة أو في الأعم الأغلب لكان التعبير أدق، وإلا فلا حجر على سعة رحمة الله.

بعلاج الصرع أو يؤذن في أذنه[1] فتسمع الجني يتأفف ويصيح طالبًا التوقف عن قراءة القرآن أو الأذان.

رابعًا ـ إن الموسوس لا ينطق بلغة غير اللغة التي يعرف؛ بينما المصروع أوالملبوس بالجن، قد ينطق بلغة أو بلسان غير لسان صاحبه، وبلهجة وصوت غير لهجة وصوت صاحبه.

خامسًا ـ إن الموسوس تبقى معلوماته ضمن حدود حواسه ومعارفه السابقة، بينما المصروع تصبح معلوماته، وما يخبر به فوق حدود حواسه، وفوق المخزون من المعلومات والمدركات الثي يمتلكها؛ بمعنى أنه قد يخبر عن أشياء تحصل في مكان آخر بعيد، وأنت جالس بجواره، أو قد يحل معضلة معينة، قد يعجز عن حلها لو كان في حالة طبيعية.

سادسًا ـ إن الموسوس لو ضُرب لبقى أثر الضرب عليه، ولعانى منه أيامًا عديدة، لكن المصروع إذا ما ضرب وخرج منه الجن؛ فإنه يستيقظ وينظر يمنة ويسرة ويستغرب. وهناك وجوه أخرى ليس من الضروري ذكرها، لأنها لا تهم إلا أصحاب الخبرة والاختصاص.

لذا أرى أن المنطق السليم والتفكير القويم يرجح كفة رأى أهل السنة والجماعة الذي يقول بدخول الجن بدن الإنس، إلا أن هذا الدخول قليل، ونادرًا ما يحصل، وليس كما يتصور العامة من الناس الذين نشاهدهم يتزاحمون في طوابير على أبواب المشعوذين ومدّعي المشيخة، طالبين عونهم على إخراج الجن والشياطين من أبدانهم دون التمييز بين ما هو بسبب الجن، وما هو بسبب مرض عضوي أو نفسي صرف. اهـ.

---

(١) وردت الأحاديث الصحيحة في فضل التأذين وأنه طارد للشيطان مثل حديث أبي هريرة ﷺ في الصحيحين: «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين..**» كما «**أذّن النبي ﷺ في أُذن الحسن بن عليّ حين ولدته فاطمة**»، رواه أبوداود والترمذي وقال: حديث صحيح، ومن أثبت شيئًا فعليه الدليل، لأن العبادات توقيفية تؤخذ دون زيادة ودون نقصان.

٤ ـ *استنباط حالة المريض بأدلة وهمية أو بلا دليل:*

جاء في كتاب «برهان الشرع في إثبات المس والصرع» (ص٢٠٦) ما نصه: وفي (ص١٦٨-١٦٩):

ردٌّ من الدكتور محمد المهدي على بعض المعالجين الذين يوصلهم ما هم فيه إلى: «استنباطات خطيرة بلا دليل مقنع؛ فمثلاً بعضُ المعالجين يقول لك: إن هذا الشخص لديه مسٌّ من الجن، أو عينٌ!! أو سحرٌ!! دون أن يكون لديه دليل واضح على ذلك، أو يسوق أدلةً تحدث لأغلب الناس، كالأحلام المزعجة، والصداع والضيق، أو يعتمد على أن هذا الشخص يشكو من حالة غريبة احتار الطب فيها!، مع العلم أن كل الأمراض المعروفة حاليًا احتار الطب فيها لفترة، وبعد ذلك عرف أسبابها وعلاجها.

٥ ـ *سهولة الاتصال وخيل الحوار:*

حالات الصرع مثيرة للانتباه، غير مألوفة، إذا قورنت بأمراض كثيرة، وقد تسبب الحوار مع الجن مع سهولة الاتصال في مفاسد عديدة صارت مادة للحديث والكلام.

يقول مدحت عاطف في كتاب: «الدليل والبرهان على بطلان أعراض المس ومحاورة الجان»:

«ولا يخفى على كل ذي لب وضمير يقظ أن تلك المحاورات أورثت مساوئ ومفاسد توجب إغلاق بابها، حتى وإن كانت شرعية، وذلك درءًا للمفاسد وسدًا لذرائع الشر الذي ترتب على انتشار محاورات الجن في الكتب وشرائط الكاسيت.

وساق المساوئ التي أدت إليها المحاورات مع الجن مثل[1] :

المفسدة الأولى ـ التمثيل خروجًا من المشاكل: يلجأ البعض إلى التمثيل بأن الذي حول مسار حياته وبدد أحلامه هو الجن، وقد يذهب إلى أحد

(١) باختصار وتصرف شديد.

المعالجين؛ فيقرأ عليه ويلعب صاحب المشكلة دور الجني، فيسأل المعالج وهو يجيب متجنيًا على الجن.

المفسدة الثانية - الهلع والخوف والقلق: حيث يدور الحوار بين المعالج والجني والصارع وتكثر الأسئلة أمام أُسرة فيها الصغير والكبير ومن هو رقيق القلب ضعيف الفهم؛ فأي نوم يجرؤ على مداعبة الجفون والعيون.

المفسدة الثالثة - التهويل: وذلك من انتشار تلك المحاورات، والتي صوَّر هؤلاء الكُتَّاب والمعالجون الجن للناس على أنه مس وسحر، وكأن الجن ما خلقوا إلا من أجل وظيفة واحدة وعمل واحد لا ثاني له، ألا وهو: السحر والمس، والإضرار بالناس.

المفسدة الرابعة - الفتنة والوقيعة بين الناس: لك أن تتخيل ما يحدث عندما يسأل المعالج الجني قائلاً: من صنع هذا السحر بالإنسية الممسوسة؟، فتكون الإجابة فلان بن فلان، وكأنها الفرصة التي أتاحها المعالج بجهله للجني، فرصة الكذب التي يقتنصها للإيقاع والإفساد.

المفسدة الخامسة - اضمحلال الصورة التخصصية في عالم الجن: فأصبح كل من هب ودب وقرأ كتابًا عن الجن أو حفظ محاورة مع الجن يظن في نفسه القدرة على علاج المس وسرعان ما يعلن عن نفسه وقدرته! ومما يزيدُ الطين بلةً قيام هذا المعالج بتأليف كتاب من المحاورات التي دارت بينه وبين الجن، الأمر الذي أدى إلى انتشار هذا المرض انتشارًا عجيبًا مذهلاً ومريبًا.

المفسدة السادسة - العجب الذي قد يلحق بالمعالج.

المفسدة السابعة - تمكين الجني المتلبس من البقاء فترة أطول في بدن الملبوس لترك المحاور قراءة القرآن عليه مما يتيح لذلك الجني زيادة الاستقرار أكثر، وتخفيف الشدة عليه أكثر، بل إن الجني قد يُكثر من القول بالباطل والتكثر بالكذب خداعًا للراقي، وإبعادًا له عن دوره الصحيح في الرقية، وإيقاعًا له بمزيد من الحوار والمجادلة».

ضعف الإيمان وكثرت الذنوب
واشتد البلاء فتسلطت الشياطين

استحكمت الغربة، وصارت الكثرة صرعى الغواية والفتنة، وظهرت الذنوب والمعاصي بل وتباهى الناس بها.

وفي الحديث: «**ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا**»، وهذه الذنوب من أعظم أسباب ضعف الإنسان ووهنه، كما أنها أداة يتسلط بها الشياطين على نفوس العباد وقلوبهم.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في رسالة «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»:

«ومن أعظم ما يقوى الأحوال الشيطانية سماع الأغاني والملاهي وهو سماع المشركين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ (الأنفال: ٣٥).

قال ابن عباس وابن عمر ﷺ وغيرهما من السلف:

التصدية: التصفيق باليد.

والمكاء: مثل الصفير؛ فكان المشركون يتخذون هذا عبادة» اهـ.

أغفلنا معاني الوقاية، وهجرنا آيات ربنا وتركنا ذكره سبحانه، فهل يبعد أن تكثر حالات الصرع في مثل هذه الأوضاع ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦).

ثم كثرة عدد المعالجين للمس الشيطاني، لم تقلل الحالات ـ بل زادتها من وجهة نظرنا ـ إذ صار أكثر المعالجين يرجون النفع من الجن، وقلوبهم معلقة

بالجني أكثر من تعلقها بالله، وامتلأت النفوس خوفًا من الجن أكثر من خوفها من الله؛ بل لو شئت لقلت: مصروع في عقيدته صار يعالج مصروعًا في بدنه!! فلماذا لا يكثر الصرع؟!

التفرغ لعلاج حالات الصرع:

عالج النبي ﷺ بعض المرضى، وأخرج الجن منهم، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، وفعل ذلك بعض الأئمة كالإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما، ولكن لم ينقطع واحد من هؤلاء العلماء لعلاج حالات الصرع، كما نشاهد اليوم، حيث انتحل الكثيرون صفة الأطباء في التفرغ لدفع الظلم عن المصروع بزعمهم، فتطبَّبوا بغير طب، وأهملوا العلم النافع والعمل الصالح، على حداثة سن الكثيرين منهم، وواقعوا ما حرم الله مما ذكرنا بعضه.. ولذلك وجب التنبيه والتحذير.

قال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ: «ليس غرضي مما تقدم إلا إثبات ما أثبته الشرع من الأمور الغيبية، والرد على من ينكرها، ولكني من جانب آخر أنكر أشد الإنكار على الذين يستغلون هذه العقيدة، ويتخذون استحضار الجن ومخاطبتهم مهنة لمعالجة المجانين والمصابين بالصرع، ويتخذون في ذلك من الوسائل التي تزيد على مجرد تلاوة القرآن مما لم ينزل الله به سلطانًا، كالضرب الشديد الذي قد يترتب عليه أحيانًا قتل المصاب كما وقع هنا في عمان، وفي مصر، مما صار حديث الجرائد والمجالس.

لقد كان الذين يتولون القراءة على المصروعين أفرادًا قليلين، صالحين فيما مضى، فصاروا اليوم بالمئات، وفيهم بعض النسوة المتبرجات، فخرج الأمر عن كونه وسيلة شرعية ـ لا يقوم به إلا الأطباء عادة ـ إلى أمور ووسائل أخرى لا يعرفها الشرع ولا الطب معًا، فهي ـ عندي ـ نوع من الدجل والوساوس..» اهـ.

وهو كلام عالم بالشرع والواقع، يثبت به ما أثبته الشرع، وينفي به ما نفاه الشرع، ويصطلح معه كل فريق على حقه، ولو أحسن الإنسان الظن بالمتفرغين لعلاج حالات الصرع، لقال: إن الدافع لهم مع وجود النيِّات الطيبة هي هذه الجلسات المطولة والحوارات الكثيرة التي تتم مع الجن!!، والتي أدت إلى انشغالهم وانقطاعهم، ولو أنهم استقاموا على شرع الله في علاجهم لما احتاجوا لمثل هذا التفرغ المزعوم، ونحن في هذا المقام لا ننكر وجود الصالحين ممن خلصت نيَّاتُهم ويعالجون وفق الشرع والدين، ولكنهم قلة وندرة وسط غثاء كثير؛ فالواجب علينا أن نرد الحق لنصابه، وأن لا نغفل دور الأطباء النفسانيين وغيرهم، فطائفة منهم قديمًا وحديثًا تثبت الصرع الجني وعندهم من العلم والتقوى ما يستطيعون به التمييز بين المس الشيطاني والمرض العضوي؛ فلا داعي للتحرج من مراجعتهم والاستفادة مما عندهم - إن لم يخالف الشرع - وإلا فمن تطبب بغير طب فهو ضامن، والسبيل الذي نراه لتحقيق المصلحة ودفع المضرة والمفسدة، أن يتم التعاون مع الأطباء عمومًا والنفسيين خصوصًا، لا التنفير منهم أو تقمص شخصياتهم.

◻ *حكم أخذ الأجر على الرقية بالقرآن:*

أُخْرِجَ في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلُدِغَ سيدُ ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعلهم أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لُدِغَ وسعينا له بكل شيء، لا ينفعه شيء؛ فهل عند أحد منكم من شيء؟، فقال بعضهم: نعم، والله إني لأرقي ولكن استضفناكم فلم

تضيفونا؟ فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جُعْلاً؛ فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ الحمد لله رب العالمين؛ فكأنما نشط من عقال، وانطلق يمشي وما به قلبة.

قال: فأوفوهم جُعْلهم الذي صالحوهم عليه، وقال بعضهم: اقتسموا، وقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ﷺ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا؛ فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له ذلك فقال: **«وما يدريك أنها رُقية، ثم قال: قد أصبتم، اقتسموا واضربوا لي معكم سهمًا»**، وفي هذا الحديث إقرار من النبي ﷺ على أخذ الأجر على الرقية بالقرآن.

وقد ذكر الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في «التبيان في آداب حملة القرآن» (ص٢٩، ٣٠) ما نصه:

ومن أهم ما يؤمر به أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن معيشةً يكتسب بها، وقد جاء عن عبد الرحمن بن شبيل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«اقرأوا القرآن، ولا تأكلوا به ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه»**.

وعن جابر ﷺ عن النبي ﷺ: **«اقرأوا القرآن من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه، ولا يتأجلونه»** (رواه بمعناه من رواية سهل بن سعد)، معناه يتعجلون أجره إما بمال وإما سمعة ونحوها.

وعن فضيل بن عمرو ﷺ قال: دخل رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ مسجدًا؛ فلما سلم الإمام قام رجل فتلا آيات من القرآن، ثم سأل فقال أحدهما: إنا لله وإنا إليه راجعون، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«سيجيء قوم يسألون بالقرآن فمن سأل بالقرآن فلا تعطوه»**.

وهذا الإسناد منقطع، فإن الفضيل بن عمرو لم يسمع الصحابة.

وأما أخـذه الأجرة على تعليم القـرآن فقد اختـلف العلماء فيـه، فحكى الإمام أبو سليـمان الخطابي منع أخذ الأجـرة عليه عن جماعـة من العلماء، منهم الزهري وأبو حنيفـة، وعن جماعة أنه يجوز إن لم يشـترطه، وهو قول الحـسن البصـري والشعـبي وابن سيـرين، وذهب عطاء ومـالك والشافـعي وآخرون إلى جوازِها إن شارطه واستأجره إجارة صحيحة.

وقد جاء بالجواز الأحـاديث الصحيحة، واحتج من منعهـا بحديث عبادة ابن الصامت ﷺ أنه علَّم رجلاً من أهل الصُّفَّة القرآن فأهدى له قوسًا؛ فقال له النبي ﷺ: **«إن سـرك أن تطوق بهـا طوقًـا من نار فـاقـبلهـا»**، وهو حديث مشهور رواه أبوداود وغيره وبآثار كثيرة عن السلف.

وأجاب المجوزون عن حديث عبادة بجوابين:

أحدهما - أن في إسناده مقالاً.

والثاني - أنه كان تبـرع بتعليمـه فلم يستـحق شيئًـا، ثم أهدى إليه على سبيل العوض فلم يجز له الأخذ بخلاف من يعقد معه إجارة قبل التعليم والله أعلم. اهـ

وإذا كان لا يجـوز التداوي بالمحـرمات والشركـيات، في عـلاج الصرع وغيره، فلا يـحل أخذ الأجرة على ذلك، حتى ولو قرأ شيـئًا من القرآن في أثناء علاجه.

فإن الله طيب لا يقبل إلا طـيبًا، وإن الله إذا حرم شيـئًا حرم ثمنه، ولا يحل للمريض أن يذهب للمـشعوذين والدجاجلة حـتى وإن لم يأخذوا أجرًا على عـملهم، فـبئس العـمل، والواجب عليـهم الانتـهاء عنه، وأن يبـذلوا وسعهم فيما يُقربهم من رضوان ربهم.

علاج الصرع

ذكر ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن واجب المؤمن نصرة أخيه المظلوم وهذا المصروع مظلوم، ولكن النصرة تكون بالعدل كما أمر الله، فإذا لم يرتدع الجني بالأمر والنهي والبيان، فإنه يجوز نهره وسبه وتهديده ولعنه؛ كما فعل الرسول ﷺ مع الشيطان عندما جاء بشهاب ليرميه في وجه الرسول ﷺ، فقال ﷺ: «**أعوذ بالله منك، ألعنك بلعنة الله ـ ثلاثًا ـ**».

والجن عالم مخلوق مُكلف بأصل الشريعة؛ فإذا صرع إنسيًا ـ إيذاءً له أو عن شهوة وهوى ـ فعلى المعالج أن يزجر الجني عن ظلمه للإنسي، وأن يُخبره بحكم الله ورسوله.

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى (١٩ / ٤٢): «والمقصود أن الجن إذا اعتدوا على الإنس أخبروا بحكم الله ورسوله، وأقيمت عليهم الحجة، وأُمروا بالمعروف، ونُهوا عن المنكر، كما يفعل بالإنس، لأن الله يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥). وقال: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ (الأنعام: ١٣٠).

قال: «ولهذا نهى النبي ﷺ عن قتل حيَّات البيوت حتى تؤذن ثلاثًا»[١].

وذلك أن قتل الجن بغير حق لا يجوز، كما لا يجوز قتل الإنس بلا حق، والظلم محرم في كل حال، فلا يحل لأحد أن يظلم أحدًا ولو كان كافرًا، بل قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨).

---

(١) خشية أن يكون هذا المقتول جنيًا قد أسلم، ففي الحديث: «**إن بالمدينة نفرًا من الجن قد أسلموا فمن رأى شيئًا من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثًا، فإن بدا له بعد فليقتله، فإنه شيطان**» رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فإذا كانت حيَّاتُ البيوت قد تكون جنًا فتُؤذن ثلاثًا؛ فإذا ذهبت وإلا قتلت، فإنها إن كانت حية قتلت، وإن كانت جنية فقد أصرت على العدوان بظهورها للإنس في صورة حيَّةٍ تفزعهم بذلك، والعادي هو الصائل الذي يجوزُ دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلاً، وأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك فلا يجوز.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: أنه قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجني عنه إلى الضرب؛ فيضرب ضربًا كثيرًا جدًا، والضرب إنما يقع على الجني ولا يحسه المصروع، حتى يُفيق المصروع ويخبر أنه لم يحس شيئًا من ذلك، ولا يؤثر في بدنه ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاثمائة أو أربعمائة ضربة أو أكثر أو أقل، بحيث لو كان على الإنسي لقتله، وإنما هو على الجني، والجني يصيح ويصرخ، ويُحدث الحاضرين بأمور متعددة، ويذكر ابن تيمية أنه فعل ذلك وجرَّبه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة كثيرين.

◻ *علاج النبي ﷺ لبعض المصروعين:*

ورد في سُنن أبي داود ومسند الإمام أحمد عن أم أبان بنت الوازع بن زارع بن عامر العبدي عن أبيها أن جدها الزارع انطلق إلى رسول الله ﷺ فانطلق معه بابنٍ له مجنون أو ابن أخت له، قال جدي: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ قلت: إن معي ابنًا لي أو ابن أخت لي ـ مجنون ـ أتيتك به تدعو الله له، قال: **ائتني به**، قال: فانطلقت به إليه وهو في الركاب، فأطلقت عنه، وألقيت عنه ثياب السفر، وألبسته ثوبين حسنين، وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى النبي ﷺ فقال: «**ادنه مني، اجعل ظهره مما يليني**»، قال: بمجاميع ثوبه من أعلاه وأسفله؛ فجعل يضرب ظهره حتى رأيتُ بياض إبطيه، ويقول: «**اخرج عدو الله، اخرج عدو الله**»؛ فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول، ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه؛ فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له؛ فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضلُ عليه.

وقد مر بنا حديث يعلى بن مرة ﷺ وقول النبي ﷺ : **«بسم الله، أنا عبد الله، اخسأ عدو الله»**، ثم ناول الصبي المصروع لأمه، وقوله ﷺ لها في رجوعه **«ما فعل صبيُّك؟»** فقالت: والذي بعثك بالحق ما أحسسنا منه شيئًا حتى الساعة، فاجترر هذه الغنم، قال: **«انزل خذ منها واحدةً ورد البقية»**، (رواه أحمد في المسند).

الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ يأمر الجني بالخروج فيستجيب: روى أن الإمام أحمد كان جالسًا في مسجد، إذ جاءه صاحب له من قبل الخليفة المتوكل؛ فقال: إن في بيت أمير المؤمنين جارية بها صرع، وقد أرسلني إليك، لتدعو الله لها بالعافية، فأعطاه الإمام نعلين من الخشب، وقال: اذهب بها إلى دار أمير المؤمنين، واجلس عند رأس الجارية، وقل للجني: يقول لك أحمدُ: أيما أحب إليك، تخرج من هذه الجارية أو تُصفع بهذا النعل سبعين؟.

فذهب الرجل ومعه النعل إلى الجارية، وجلس عند رأسها، وقال كما قال له الإمام أحمد؛ فقال المارد على لسان الجارية: السمع والطاعة لأحمد، لو أمرنا أن نخرج من العراق لخرجنا منه، إنه أطاع الله، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء، ثم خرج من الجارية؛ فهدأت ورزقت أولادًا.

فلما مات الإمام عاد لها المارد؛ فاستدعى لها الأمير صاحبًا من أصحاب أحمد، فحضر ومعه ذلك النعل، وقال للمارد: أُخرج وإِلا ضربتك بهذا النعل، فقال المارد: لا أطيعك ولا أخرج، أما أحمد بن حنبل فقد أطاع الله، فأُمرنا بطاعته.

□ *صفات المعالج:*

قال الدكتور / عمر سليمان الأشقر في كتاب «عالم الجن والشياطين»: «ينبغي للمعالج أن يكون قوي الإيمان بالله مُعتمدًا عليه، واثقًا بتأثير الذِكر وقراءة القرآن، وكلما قوى الإيمان وتوكله قوى تأثيره؛ فربما كان أقوى من الجن فأخرجه، وربما كان الجني أقوى فلا يخرج، وربما كان المخرج للجني ضعيفًا

فتقصد الجن إيذاءه، فعليه بكثرة الدعاء والاستعانة عليهم بالله، وقراءة القرآن، وخاصة آية الكرسي» اهـ.

كما ينبغي أن يكون المعالج عالمًا بمداخل الشيطان حتى لا يُستدرج فقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يعالج مصروعًا، فقال للجني: اخرج، فقال له الجني: أنا أخرج كرامة لك!!، فقال له شيخ الإسلام: لا، ولكن طاعة لله ورسوله، وهذا من فطنته ـ رحمه الله ـ.

فإن الفعل والترك يجب أن يكون خالصًا لوجه الله، ومن ذلك ترك الظلم لا ينبغي أن يكون كرامة لمخلوق، وإنما ذلك طاعة لله ورسوله ﷺ

❑ *الرقى والتعاويذ لعلاج المصروع:*

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى (٢٤ / ٢٧٧): «وأن معالجة المصروع بالرقى والتعويذات فهذا على وجهين:

فإن كانت الرقى والتعاويذ مما يُعرف معناها، ومما يجوز في دين الإسلام أن يتكلم به الرجل، داعيًا الله، ذاكرًا له، ومخاطبًا لخلقه، ونحو ذلك فإنه يجوز أن يرقى بها المصروع، ويعوذ، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «أنه أَذِنَ في الرُقى ما لم تكن شركًا»، وقال ﷺ: **«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»**.

وإن كانت في ذلك كلمات محرمة، مثل أن يكون فيها شرك، أو كانت مجهولة المعنى، يحتمل أن يكون فيها كفر، فليس لأحد أن يرقي بها ولا يعزم، ولا يقسم، وإن كان الجني قد ينصرف عن المصروع بها، فإن ما حرمه الله ورسوله ضرره أكثر من نفعه.

وذكر في موضع آخر «مجموع الفتاوى» (١٩ / ١٤): «أن أرباب العزائم الشركية كثيراً ما يعجزون عن دفع الجني، وكثيرًا ما تسخر منهم الجن إذا طلبوا منهم قتل الجني الصارع للإِنس أو حبسه، فيخيلون إليه أنهم قتلوه أو حبسوه ويكون ذلك تخييلاً وكذبًا».

الحث على طاعة الله وتقواه

أعظم سبيل للحماية من الشيطان هو الالتزام بالكتاب والسُنَّة علمًا وعملاً، فهذا هو سبيل السلامة والنجاة في الدنيا والآخرة: ﴿وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ﴾ (التوبة:١١٨)، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ (آل عمران: ١٢٠).

فمع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو وإن كان ذا تسلط، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)، وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣).

فلو كادتك السمواتُ السبع ومن فيهن والأرضُونَ ومن فيهن، واتقيت الله، لجعل الله لك من بينهن فرجًا ومخرجًا، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (النحل:١٢٨)، فمن كان الله معه فمن عليه؟، معه الفئة التي لا تُغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يُضِلُّ وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤).

وتقوى الله، هي العمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله، وأساس التقوى أن يعلم العبد ما يُتقى ثم يتقي، وتقوى الله خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف.

وكان عمر ﷺ يقول: «اتقوا الله؛ فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده»، وأصل التقوى أن يعمل العبد بالواجبات ويترك المحرمات، فإذا التزم المستحبات وترك المكروهات فقد تمت تقواه الله تعالى، ولا أعظم في إغاظة الشيطان وطرده من التزام الكتاب والسُنَّة قولاً وعملاً ظاهرًا وباطنًا.

روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وابن ماجه في سُننه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنَّة، وأُمرت بالسجود فعصيت فلي النار**».

وطاعة الله وتقواه أمر عام مجمل، يندرج تحته مسائل كثيرة تفصيلية. بعضها واجب وبعضها مستحب. ومن جملة ذلك:

١ ـ *الإخلاص:*

لا تتخلص النفس من كيد الشيطان إلا بالإخلاص، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٨٢-٨٣). ولذلك كان البعض يقول لنفسه: يا نفس أخلصي تتخلصي، والمخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

وقال سهل: «الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى».

وقال أبو عثمان: «الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق».

وفي الحديث: «**إن الله عزَّ وجلَّ لا يقبل من العمل إلا ما كان له مُخْلَصًا وابتُغي به وجهه**» (رواه النسائي وصححه في الأعمال).

والإخلاص أيضًا هو فقد رؤية الإخلاص، ومن أحس في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص.

وكان الفضيل يقول: «ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يُعافيك الله منهما»؛ فليكن فعلك وتركك لله تعالى؛ فالجنة والنار بيده سبحانه، والناس لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا؛ فكيف يملكون ذلك لك، ولذلك كن عاقلاً ولا تهلك نفسك بالرياء.

٢ ـ *الاستقامة على شرع الله:*

العبادة لابد فيها من نيـة وصحة، أو إخلاص ومتابعة ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠). ومن حقق العبودية لله وحده؛ فـلا سلطان للشيطان عليه، قـال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر: ٤٢).

والعبادة كما عرَّفها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة».

والعبادات سواء كانت ماليَّة أو قلبيَّة أو بدنية أو قولية ينبغي أن تُصرف لله لا لأحد سواه ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥)، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١).

وهذه العبادة المقبولة تشمل المحبة الصادقة لله ورسوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١).

والخوف من الله، خـوفُ عبـادة وتعظيم، وهذا لا يكون إلا لله، بعكس الخوف الفطري الذي تمهدت أسـبابه كالخوف من الحية والعـقرب والنار؛ فهذا الخوف لا ينافي التوحيد ولا يقـدح في الإيمان كما في قول نبي الله موسى عليه السلام ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ (الشعراء: ١٤).

وتشمل أيـضًا الرجاء بحـيث يتعلق القـلب بالله وحده، فالمؤمـن يرجو رحمة الله ويخاف عذابه ويستقيم على شرعه، فيتحلَّى بالفضائل ويتخلى عن الرذائل، ويتقي الله في سره وعلانيتـه، ويعمل بمعاني الإيمان ويتابع الفرائض بالنوافل، ولا يحـقرن صـغيـرة فإن الجـبـال من الحصى، ومـعظم النار من مستصغـر الشرر، والاستقامة التي ننشدها هي استـقامة القلب والجوارح على

طاعة الله، ثم الطاعات منها ما يتعلق بتوحيد الله جل وعلا، ومنها ما يتعلق بالفرائض ما تصح به وما تبطل، ويدخل فيها الحلال والحرام والأمور التي تستصلح بها القلوب كالصبر والشكر.

كما يجب على المكلَّف أن يتعرف على الشبهات وكيفية دفعها عن نفسه، فإذا تعلَّم الإنسان هذه العلوم الواجبة فعليه أن يتابعها بأعمال صالحة، حتى يسلم له دينه وتصح تقواه وتكتمل استقامته ويكون من حزب الله ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢).

ـ الصلاة حفظ وحماية وتركها سبب استحواذ الشيطان على العبد:

كثيرًا ما يتمنع المصروع ـ بل وكثير من المرضى ـ عن الصلاة، وهذا التفريطُ فيه إضاعة للعبد، وسبب لاستحواذ الشيطان عليه، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ (البقرة:٢٣٨)، فمن حافظ على الصلاة حيث يُنادى بها فكأنما حفظ نفسه، فالجزاء من جنس العمل كقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢)، وقوله سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ (محمد: ٧).

فكأنه قيل[1]: احفظ الصلاة ليحفظك الإله الذي أمرك بالصلاة، أو احفظ الصلاة حتى تحفظك الصلاة، وحفظ الصلاة للمصلي على أوجه:

منها: حفظه عن المعاصي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، فمن حفظ الصلاة حفظته الصلاة عن الفحشاء.

ومنها: حفظه من البلايا والمحن، قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ (البقرة: ٤٥).

ومنها: حفظه من عذاب القبر، وعذاب النَّار يوم القيامة، والمصلي في حماية الله وحراسته، قال ﷺ: **«من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنه الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنَّم»** (رواه مسلم).

---

(١) راجع «الصلاة لماذا؟» للشيخ/ محمد إسماعيل المقدم ـ حفظه الله ـ.

فمن لم يفعل فقد عرَّض نفسه للخطر الذي توعده الله به، وهو أن يخلع عنه رداء عونه وتأييده، بحيث لا يبقى له أي ملاذ ولا ملجأ، وسيجد نفسه يواجه الشيطان بمفرده بعد أن خذله الله.

قال بعض الصالحين: «والله ما عدى عليك العدوُّ إلا بعد أن تخلَّى عنك المولى؛ فلا تظنن أن العدوَّ غَلَبَ، ولكن الحافظ أعرض».

وقال ﷺ: **«من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله، فمن أخفر ذمة الله كبَّه الله في النَّار لوجهه»** (حسن).

ورُوى أن الحجَّاج أمر سالم بن عبد الله بقتل رجل؛ فقال له سالم: «أصليت الصبح؟» فقال الرجل: «نعم»، قال: «فانطلق»، فقال له الحجَّاجُ: «ما منعك من قتله؟» فقال سالم: «حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«من صلى الصبح كان في جوار الله يومه»** فكرهت أن أقتل رجلاً قد أجاره الله، فقال الحجَّاجُ لابن عمر رضي الله عنهما: «أنت سمعت هذا من رسول الله؟ فقال ابن عمر: «نعم»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا خرجت من منزلك، فصلِّ ركعتين تمنعانك مُخرج السوء، وإذا دخلت إلى منزلك فصلِّ ركعتين تمنعانك مُدخل السوء»** (حسن).

وقال ﷺ: **«إن الله يقول: يا ابن آدم، اكفني أول النهار أربع ركعات، أكفك بهن آخر اليوم»** (صحيح).

فالصلاة صيانة ووقاية، ومن ضيع الصلاة ضيعه الله وخذله وعاقبه بأن يقيض له شيطانًا يقارنه، فلا يفارقه، لا في الإقامة ولا في المسير، وهو مولاه

---

(١) انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٨٦ - ١٨٧).

وعشيرته، بئس المولى وبئس العشير، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (الزخرف: ٣٦-٣٩).

وفي الحديث: «**ما من ثلاثة في قرية، ولا بدو ولا تُقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان؛ فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية**» (حسن). فقد بيَّن ﷺ أن الشيطان ذئب الإنسان وهو أعدى عدو له.

قال بعض السلف: «رأيت العبد مُلقى بين الله سبحانه وبين الشيطان؛ فإن أعرض الله عنه تولاه الشيطان، وإن تولاه الله لم يقدر عليه الشيطان».

٤ ـ الأذكار والأدعية وقراءة القرآن:

من أعظم ما يُستعان به على الجني الذي يصرع الإنسان الدعاء وذكر الله وقراءة القرآن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «إني لا أحملُ همَّ الإجابة، ولكني أحملُ همَّ الدعاء، فإن العبد إذا أُلهم الدعاء فإنَّ الإجابة معه.

وقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يعوذ الحسنَ والحسينَ رضي الله عنهما بقوله: «**أُعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عينٍ لامة**»، ويقول: «**إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق**» (رواه البخاري والترمذي). وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضى بينهما ولد، لم يضره شيطان أبدًا**» (متفق عليه).

والوقايةُ خيرٌ من العلاج ـ كما يقولون ـ وذِكر الله من أعظم الأسباب الطاردة للشياطين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لا**

إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مائةُ حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه» (متفق عليه).

وعن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات مُحِيَ عنه عشر سيئات ورُفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك في حرزٍ من كل مكروهٍ، وحرس من الشيطان، ولم ينبغِ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشركَ بالله تعالى» (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح وحسنه الحافظ وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ).

والذكر أفضل من الدعاء، والقرآن خير الكلام وأنفع الذِكر، وكله شافٍ كافٍ بإذن الله، وهو أنفع الوسائل ـ بإذن الله ـ في إخراج الجن، ومن أعظمِ ذلك:

(أ) قراءة آية الكرسي:

ورد في حديث أبي هريرة ﷺ: «فاقرأ آية الكرسي فإنك لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تُصبح» (رواه البخاري)، وهذه الآية نافعة في دفع شياطين الإنس والجن.

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى (١٩ / ٥٥): «ومع هذا فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته، فإن لها تأثيراً عظيماً في دفع الشياطين عن نفسِ الإنسان وعن المصروع وعمن تعينه الشياطين، مثل أهل الظلم والغضب، وأهل الشهوة والطرب، وأرباب سماع المُكاء والتصدية، إذا

قرئت عليهم بصدقٍ دفعت الشياطين، وبطلت الأمور التي يخيلها الشيطان، ويبطل ما عند إخوان الشياطين، من مكاشفة شيطانيَّة وتصرُّف شيطاني، إذا كانت الشياطين يوحون إلى أوليائهم بأمورٍ يظنها الجهَّالُ من كرامات أولياء الله المتقين، وإنما هي من تلبيسات الشياطين على أوليائهم المغضوب عليهم والضالين».

(ب) *سورة البقرة:*

عن أبي هريرة ﷺ إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، فإن البيت الذي يُقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله شيطان**» (رواه أحمد، ومسلم، والترمذي وقال: حسن صحيح).

(جـ) *الآيتان من آخر سورة البقرة:*

عن أبي مسعود ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه**» (رواه الجماعة).

وقال علي ﷺ: «ما كنت أرى أحدًا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث من آخر سورة البقرة».

وقيل في معنى كفتاه: أي: من قيام الليل، وقيل من الشيطان، وقيل: من كل شر، والله أعلم.

(د) *المعوذات:*

عن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ: «كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات» (رواه البخاري والترمذي).

والنفث عبارة عن نفخٍ رقيق دون إخراج ريق.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ «كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه المعوذتين، وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها» (رواه مالك والبخاري ومسلم).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألم تر آيات أُنزلت الليلة لم يُر مثلُهن قط:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾».

وفي رواية: «**ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟**» **قلت:** بلى، قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾» (رواه مسلم والترمذي وقال: حسن صحيح).

وفي الحديث: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ **والمعوذتان حين تمسي وحين تُصبح ثلاث مراتٍ تكفيك من كل شيء**» (رواه أبوداود، والترمذي وقال: حسن صحيح، وجوّد الألباني سنده).

فعلى العبد أن يحافظ على أذكار الشروق والغروب وأذكار النوم وسائر الأذكار الموظَّفة، وإذا نزل منزلاً قال: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»، ويقول ذلك على سبيل التيقُّن لا على سبيل التجريب والامتحان، فلن يضره شيء بإذن الله.

❑ *تنبيه مهم يتعلق بتكرير الأذكار وترتيبها وتحديدها:*

كثير من المعالجين والكتب المؤلفة في علاج الصرع وغيره، تحدد أذكاراً معينة وتطالب بترتيبها أو تكريرها، مما يُوهم أنها تستند لدليل شرعي، والأمر ليس كذلك، فمثلاً نجد الحث على تكرير آية الكرسي في أثناء العلاج!! وقراءة سورة الجن تحديداً لإخراج الجني!!

وقد ذكر صاحبُ كتاب «إِثبات علاج جميع الأمراض بالقرآن الكريم» «أن علاج السرطان يتضمن الاستماع إلى القرآن الكريم والاستحمام والشرب من الماء المقروء عليه القرآن، ودهان مكان الورم السرطاني بزيت زيتون مقروءٍ عليه.

وهذه هي الآيات التي تقرأ:

بسم الله الرحمن الرحيم

(الفاتحة إلى قوله ولا الضالين)، وأول خمس آيات من سورة البقرة، والآيات أرقام (١٦٤ - ١٦٥) من سورة البقرة، وبعدها آية الكرسي، وآيتان بعدها، وبعدها آخر ثلاث آيات من البقرة، وبعد ذلك أول خمس آيات من آل عمران، وبعدها الآية رقم (١٨) من آل عمران، ثم الآيتين (٢٦-٢٧) من آل عمران، ثم الآيات رقم (٥٤، ٥٥، ٥٦) من سورة الأعراف، ثم الآيات رقم (١١٧، ١١٨، ١١٩) من الأعراف، ثم الآيات أرقام (٨٠، ٨١، ٨٢) من سورة يونس، ثم الآيات رقم (٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩) من سورة طه، ثم الآيات رقم (١١٥، ١١٦، ١١٧) من سورة المؤمنون، ثم الآيات أرقام (٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤) من سورة الحشر، ثم أول خمس عشرة آية من سورة الصافات، ثم الآيات رقم (٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤) من سورة الرحمن، ثم الآيتين (٣، ٤) من سورة تبارك، ثم الآيتين (٥١، ٥٢) من سورة القلم، ثم الآية رقم (٣) من سورة الجن، ثم سورة الكافرون، ثم سورة الفلق، ثم سورة الناس.. اقرأ الآيات السابقة (٧) مرات على كمية من الماء تكفي لاستحمام مرة يوميًا ولمدة أسبوع والشراب منها (٣) مرات يوميًا، وتُقرأ الآيات السابقة على كمية من زيت الزيتون تكفي لدهان العضو المصاب لمدة (٢١) يومًا..»!!!.

وهذا مثال واحد من أمثلة تحديد الأذكار وترتيبها، وغيره كثير موجود في هذا الكتاب وغيره من الكتب المشابهة ولولا خشية الإطالة لذكرنا بعضها، ولا ندري من أين أتى الكاتب بهذا الترتيب وهذا التحديد للآيات في علاج السرطان؟!!، وماذا لو خالفنا الترتيب، أو قرأنا آيات أُخر؟!!، ولماذا لم يطلق في مقام الإطلاق ويقتصر على ما صح وثبت من أدعية وأذكار؟!، إن الشرع قد أتى بكل ما فيه صلاح القلوب والأبدان إما إجمالاً وإما تفصيلاً، وقد أكمل سبحانه لنا الدين وأتم علينا النعمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ (المائدة: ٣).

مرض الاكتئاب[1]

◘ *أعراضه:*

الشعور بالحزن والضيق، ويصاحبه بكاء وعدم شهية للطعام، وقلة الرغبة في فعل أي شيء، مع ضعف التركيز والشعور بالنسيان، وتمني الموت والتفكير في الانتحار لاحتقاره نفسه والدنيا من حوله، ويصحب ذلك اضطرابات في النوم وانخفاض في الوزن، فالمرأة قد تتوقف عادتها الشهرية، والرجل قد يُصاب بالضعف الجنسي، وقد يتوهم وجود أمراض معينة لديه، وقد يسمع أصواتًا غريبة تكلمه، وهي ما يسمى بالهلاوس وهي نادرة في مرض الاكتئاب، وشعور مريض الاكتئاب بالذنب على أشياء تافهة فعلها سابقًا عادة ما تؤدي به إلى القعود عن العمل بدلاً من أن تدفعه إلى التوبة وإلى الإنتاجية وإلى الإحسان، والمكتئب قد يقتل غيره رحمة لذلك الغير!!، الذي عادة يكون الزوجة والأبناء ـ ومثاله ما يُنشر في بعض الجرائد بين حين وآخر ـ وهذا القاتل يكون عادة مصابًا بحالة اكتئاب فيُقدم على هذا الفعل لأنه لا يريد لمن حوله أن يعيشوا هذه الحياة التعيسة؛ فيقتلهم ويقتل نفسه!!.

❐ ❐ ❐

(١) كتاب «الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسُنة» للدكتور/ عبد الله خاطر ـ بتصرف شديد ـ.

أسباب الاكتئاب

هذه الأمراض المذكورة لها أسباب خارجية وداخلية:

(أ) الأسباب الخارجية:

وهي ما تكون من خارج الإنسان ذاته، ومنها:

١ - *الأسباب البيئية:*

كأحداث الدنيا، كأن يفقد الإنسان شيئًا عزيزًا عليه سواء كان إنسانًا أو مالاً أو مكانة اجتماعية؛ فإن هذا الإنسان يمر بمراحل معينة في رد الفعل لذلك الفقد، وهي مرحلة الإنكار وعدم التصديق ثم تبلد الشعور فلا يُحس بالحزن ثم مرحلة البكاء وضيق الصدر وعدم الرغبة في أي شيء من الطعام أو الجنس أو غيره، مع باقي أعراض الاكتئاب بشكل خفيف ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي قبول الأمر والتسليم بالواقع.

٢ - *الأدوية:*

فقد ثبت من الدراسات والتجارب أن بعض الأدوية تؤدي إلى تغييرات كيميائية في الدماغ، فيؤدي ذلك إلى ظهور آثار جانبية منها الاكتئاب، ومن أمثلة هذه الأدوية بعض أدوية ضغط الدم وهبوط القلب والروماتيزم.

٣ - *المخدرات:*

فبعض المخدرات تُسبب الاكتئاب بنفسها، وبعضها إذا توقف عنها الإنسان، فمثلاً: الخمر ترتبط بالاكتئاب ارتباطًا وثيقًا، وبذلك ترتبط بالانتحار أيضًا، وكذلك الحبوب المنبهة التي يستخدمها الشباب أو سائقو الشاحنات لتوقظهم طوال الطريق، وهذه الحبوب فيها مادة الأمفيتامين الذي إذا توقف عنها متعاطيها يصيبه الحزن، فيأخذها ليُذْهِبَ الحزن وهكذا يبقى المدمن في دوامةٍ لا يخرج منها.

(ب) الأسباب الداخلية:

وهي ما يتعلق بالوراثة أو التركيب الداخلي العضوي لخلايا المخ أو الأمراض العضوية الداخلية في الجسم ومنها:

١ ـ *عوامل الوراثة:*

فقد ثبت بالدراسات الطبية أن بعض الناس لديهم استعداد للإصابة بالاكتئاب، وبعض المرضى لديهم أقرباء مصابون بالاكتئاب، ولا يعني هذا أن كل مريض بالاكتئاب سوف يُصاب أقرباؤه أو أولاده بالمرض.

٢ ـ *الأمراض العضوية:*

فمثلاً: نقص هرمونات الغدة الدرقية يؤدي للاكتئاب، وكذلك نقص الفيتامينات كفيتامين (ب١٢).

٣ ـ *أسباب غير معروفة:*

فقد يُصاب الإنسان بالاكتئاب بدون أي سبب واضح، وفي الغالب فهذا المرض لا يحدث بتأثير سبب واحد وإنما بتفاعل هذه الأسباب جميعها، الداخلية والخارجية مع بعضها البعض حيث يظهر الاكتئاب نتيجة لذلك.

ومن هذا العرض يتضح أن الاكتئاب أسبابه كثيرة، وليس كما يظن كثير من الناس أنه إذا اكتئب فهو بسبب نقص إيمانه أو دينه فقط، فيزداد حزنًا على حزنه، لأنه استنتج استنتاجًا ليس بالضرورة أن يكون صحيحًا.

◻ *تنبيه هام يتعلق بما يُحاسب عليه المكتئب وما لا يُحاسب عليه:*

في الحديث: «**رُفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يُفيق**»، ومن رحمة الله بعباده أن رفعَ عنهم الحرج في الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، وكذلك الأمر بالنسبة للخواطر، والحركات، والمشاعر، والأعمال «اللاارادية» فهذه لا يُحاسب عليها العبد كضيق الصدر مثلاً، أو دمعة العين، أو الأفكار والمشاعر التي ترد على ذهنه التي لا يملك التحكم فيها، فهذه لا يُحاسَب عليها المرء.

فقد قال رسول الله ﷺ : **«إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم»** (رواه البخاري، ومسلم)، وجاء في البخاري: أن رسول الله ﷺ زار سعد بن عبادة في مرضه ومعه الصحابة، فبكى عليه الصلاة والسلام، فلما رأى القوم بكاءه بكوا؛ فقال ﷺ : **«ألا تسمعون إن الله لا يُعَذِّبُ بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يُعذِّبُ بهذا أو يرحم ـ وأشار إلى لسانه ﷺ ـ»**، وقد دمعت عيناه ﷺ على ابن ابنته لما كان يحتضر، فسُئل عن ذلك فقال: **«هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده»** (متفق عليه).

أما السلوك الذي يستطيع العبد أن يتحكم فيه سواء كان قولاً أو فعلاً، فهذا يحاسب عليه كلطم الخدود، وشق الجيوب، والتلفظ بتمني الموت والاعتراض على القدر والنياحة أو محاولة الانتحار، والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله ﷺ : **«ليس منَّا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»** (رواه البخاري).

وقال ﷺ : **«لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍّ نزل به فإن كان لابد متمنيًا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»** (رواه البخاري).

وفي الصحيحين: **«من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يَتَوَّجأُ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًا فقتل نفسه فهو يَتَحَسَّاهُ في نار جهنم خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه، يتردى في نار جهنم خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا»** (رواه البخاري، ومسلم).

وهذا العقاب المتوعد به في النصوص لمن يقتل نفسه، إنما يكون للقاتل المكلَّف، لأن بعض أنواع الاكتئاب الشديد جدًا، أو الذي يُسمى «الاكتئاب الذهاني» لا يكون المصاب به في وعيه، بل هو مرفوع عنه التكليفُ لمرضه، وقد يقتل نفسه فيبقى أمره إلى الله سبحانه وتعالى، فنحن لا نجزم أن كل من قتل نفسه فهو من أهل الوعيد، وعلى الطبيب النفسي المعالج أن يُجبره على العلاج، لأنه ليس في وعيه، أما الإنسان الذي يأخذ الحبوب ـ مثلاً ـ ليموت ـ أي: ليقتل نفسه ـ فهذا يموت منتحرًا والعياذ بالله.

علاج الاكتئاب

من رحمة الله بعباده، أن جعل القرآن شفاءً ورحمةً للمؤمنين، وما عليهم سوى العودة إلى كتاب الله وإلى سنّة رسول الله ﷺ ليفوزوا بسعادة الدارين، ففي القرآن والسنّة الوقاية والعلاج لحالات الحزن والاكتئاب، ومن أهم معاني ذلك:

أولاً ـ العقيدة:

للعقيدة أثر كبير في الوقاية وعلاج الاكتئاب، إذ أنها تصوغ مشاعر الإنسان وسلوكه وذهنه، والعقيدة التي نعنيها هي: ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، من عمل بأركان الإيمان ودعائم الإسلام، ومعاني التوحيد، ومن قضاياها المهمّة.

(أ) الإيمان بالقضاء والقدر:

ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**». وفي رواية أخرى: «**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك،وما أصابك لم يكن ليخطئك**» (رواه أبوداود، وابن ماجه).

فَلِمَ القلق؟، ولِمَ الحزن الشديد المتلف؟؛ والأمور مفروغ منها ومكتوبة، والبشر من حولك لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشوراً، فكيف يملكون ذلك لك؟!.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد: ٢٢-٢٣).

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ في تفسيره ـ بشيء من التصرف ـ: «فاتساع أفق النظر والتعامل مع الوجود الكبير وتصور الأزل والأبد، ورؤية الأحداث في مواضعها المقدرة في علم الله الثابتة في تصميم الكون، كل ذلك يجعل النفس أفسح وأكبر وأكثر ثباتًا ورزانة في مواجهة الأحداث العابرة.

إن الإنسان يجزع ويستطارد وتستخفه الأحداث حين ينفصل بذاته عن الوجود ويتعامل مع الأحداث كأنها شيء عارض يصادم وجوده الصغير؛ فأما حين يستقر في تصوره وشعوره، أنه هو والأحداث التي تمر به وتمر بغيره والأرض كلها ذرات في جسم كبير هو هذا الوجود؛ فإنه يُحسُّ بالراحة والطمأنينة لمواقع القدر كلها على السواء فلا يأسى على فائت أسى يُضعفه ويزلزلُه، ولا يفرح بحاصل فرحًا يستخفُّه ويُذهله، ولكن يمضي مع قدر الله في طواعية وفي رضى، رضى العارف المدرك، أن ما هو كائن هو الذي ينبغي أن يكون» اهـ.

والقدر هو نظام التوحيد؛ فمن كذب بالقدر فقد نقص تكذيبه توحيده، وقد جعل سبحانه بقسطه وعلمه الروح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهمَّ والحزن في الشك والسخط، فمن لم يرضَ بقضائه فليرحل من تحت سمائه وليختر له ربًا سواه.

(ب) الإيمان باليوم الآخر:

إن الذي يؤمن باليوم الآخر يعلم أن هذه الدنيا لا تساوي شيئًا فهي قصيرةٌ جدًا، وهي إذا حَلَتْ أوحَلَتْ، وإذا كَسَتْ أوْكَسَتْ، والأصل أن تلقاك بكل ما تكره، فإذا قابلتك بما تحب فهو استثناء، وهي كما وصفها النبي ﷺ: **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربة ماءٍ»** (رواه الترمذي وقال: صحيح غريب من هذا الوجه).

والإيمان باليوم الآخر يخفف الحزن ويسلم المؤمن فقد ورد في الحديث الحسن: أن رسول الله ﷺ حزن على وفاة ابنه، وقال: «**تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يُسخط الرب، ولولا أنه وعد صادق وموعود جامع، وأن الآخر منا يَتبع الأول، لوجدنا عليك يا إبراهيم وجدًا، وإنَّا بك يا إبراهيم لمحزونون**» (رواه البيهقي بسند صحيح).

(جـ) الإيمان بأسماء الله وصفاته:

وهذه قضية لها تأثيرها الكبير في واقع الإنسان وصفاته وسلوكه؛ فالمسلم الذي يؤمن بأن الله هو الملك، ويؤمن بأنه له سبحانه الحق في المنع والعطاء؛ فلا يعترض عليه، بل يرضى ويسلم، وكذلك عندما يعلم أنه ـ جل وعلا ـ الضار النافع، المحيي المميت العليم، بما كان وما لم يكن وما لو كان كيف يكون، وأنه سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وأنه الحكيم سبحانه، لا يُقدِّر شيئًا إلا لحكمة سواء علمناها أو لم نعلمها؛ فالخير فيما قدره الرب سبحانه وتعالى لك، حتى وإن كنت تراه مصيبة؛ فالله يعلم وأنتم لا تعلمون، وفي قصة الخضر مع موسى عليه السلام شاهد على ذلك، فقد قتل الخضر غلامًا، فتعجب موسى عليه السلام وقال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ (الكهف: ٧٤).

فبيَّن له الخضر السبب وقال: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (الكهف: ٨٠-٨١).

فالذي ظهر لموسى عليه السلام وقد يكون هذا ظهر للأبوين أيضًا، أن قتل الغلام كان مصيبة من المصائب، بينما الحقيقة أن الله أنزل رحمته على الأبوين لأنهما مؤمنان فلو عاش ابنهُما فسيرهقهما طغيانًا وكفرًا، فكان الأصلح لهما ما قدره الله من موت الغلام. وقد قال الخضر ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (الكهف: ٨٣). أي: أنه فعله بوحي ربه، إذ أنه كان نَبِيًّا ـ في أصح الأقوال ـ

فتعرف على أسماء الله وصفاته وتعبد الله بمقتضاها. ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ (الأعراف: ١٨٠).

(د) مفهوم المسلم للمصائب والأحزان:

يؤمن المسلم بأن المصائب قد تكون علامة على محبة الله للعبد، ففي الحديث: «**إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم**»، (رواه أحمد)، كما أنه يؤمن بأن الابتلاء يكون على قدر الإيمان كما ورد في الحديث: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثلُ فالأمثلُ**» (رواه الطبراني).

كما يؤمن أيضًا بأن المصائب سبب عظيم لتكفير الخطايا والذنوب، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما يُصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همٍّ ولا حزن، ولا أذىً، ولا غمٍّ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه**» (رواه أحمد والشيخان).

فإذا صبر على المصيبة ارتفعت درجته عند ربه وبُشر بالخير: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠). فالمؤمن مَنْ في كل أحواله في خير، وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**».

فإذا اعتقد المسلم اعتقاد الحق؛ فإنه يطمئن بإيمانه بالله، ويزداد توكله على الله واستسلامه لقدره سواء كان رجلاً أو امرأة؛ فهذه الخنساء عندما مات أخوها صخر، حزنت عليه حزنًا شديدًا ورثته بالقصائد الطويلة المؤثرة البليغة، وكانت يومئذ في جاهليتها، ثم لما أسلمت وعلمت بمقتل أولادها

الأربعة في يوم واحد في معركة القادسية ما زادت على أن قالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم جميعًا وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته». هذه المرأة ـ والنساء عادةً أقل صبراً وأكثر إصابةً بالاكتئاب ـ لم يتغير فيها شيء إلا أنها أسلمت وآمنت بالله رب العالمين، إنه الإيمان بالله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر، وعلمها بالثواب الجزيل عند الله. وبمفهوم الشهادة وما أعدَّه الله للشهداء من نعيم مقيم.

فبالصبر واليقين تكون مواجهة المسلم للمصائب والأحداث، وبتذكره لمصابه في رسول الله ﷺ تهون عليه المصيبات بإذن الله.

ثانيًا ـ «من العلاج» التقوى والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧). وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣). وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤).

فلا أطيب من حياة المؤمنين، ولا سعادة حقيقية إلا في طاعة الله ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤). وقال سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨). وقال: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن: ١١).

فمن طلب سعادة الدارين فعليه بالاستقامة على كتاب الله وعلى سُنَّة رسول الله ﷺ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤)، وهذه الشهادة لا ينالها الإنسان بكثرة الجاه والمال أو بنيل المناصب والسلطان، ولا تتحقق بكأس وغانية ولا بجمال وشهرة، وإنما سبيلها التقوى والعمل الصالح ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا

كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: ١٢٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١).

وكان إبراهيم بن أدهم يقول: «والله إننا لفي نعمةٍ لو يعلم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «المحبوس من حُبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه»، وقال وهو في سجن القلعة: «ماذا يفعل أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري أينما رحت فهي معي، أنا سجني خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة».

وقد بيَّن سبحانه أن الأمن والطمأنينة لا تتحقق إلا بالإيمان: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢)، إذًا نعمة الإيمان هي: الطمأنينة، إنها السعادة الحقيقية والتي لم يجدها الكثير من الناس.

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد

ثالثًا ـ الدعاء والتسبيح والصلاة:

روى أحمد والشيخان عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والبُخل والجُبن، وضلع الدَّيْن وغلبةَ الرجال**».

وصحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما أصاب عبدًا همٌّ ولاحزنٌ؛ فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسمٍ هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همِّي، إلا أذهب الله همَّه وحزنه، وأبدله مكانه فرجًا**» (رواه أحمد وابن حبان).

وقال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ ومُسليًا له: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٧-٩٩).

فتسبيح الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وتحميده من الأشياء التي تزيل الهم والحزن، ومن جملة ذلك دعاء ذي النون عليه السلام، وهو في بطن الحوت: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧)، ومنُ الأدعية النافعة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦)، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، وقصة أم سلمة رضي الله عنها معروفة. ولا تنس أن تكثر من الاستغفار وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويا حيّ يا قيوم برحمتك أستغيث.

رابعًا ـ تقدير أسوأ الاحتمالات والنظر إلى من هو أسوأ حالاً:

جاء خبَّابٌ رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ وكان متوسدًا بردة في ظل الكعبة، وقال له: ألا تستنصر لنا؟، ألا تدعو لنا؟، فقال ﷺ: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض، فيُجعل فيها ثم يُؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ويُمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله لَيُتمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموتَ، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**» (رواه البخاري).

ويقول النبي ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ـ في متاع الدنيا ـ ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم**» (رواه البخاري ومسلم).

وهذه قضية يستعملها الأطباء النفسيون في العلاج فيما يُسمى بالعلاج الجماعي وبمنطق من نظر في بلوى غيرِه هانت عليه بلواه، فلا تنظر في نصف الكوب الفارغ ولكن انظر إلى نصفه الممتلئ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١)، وقل الحمد لله على كل حال.

والحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعـمةً، وقد جعل سبحانه الدنيا دار ابتلاء واختبار وامتحان ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، قال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ١-٢).

واعلم أن الغمَّ من شأنه أن يُضخم المشكلة في نظر الإنسان فيتصورها أكبر من حقيقتها، ولذلك لما أصيب المسلمون يوم أُحد وتحول النصر إلى هزيمة وخسروا الغنائم من خسارة المعركة، ثم كانت المفاجأة أن النبيَّ ﷺ حي يرزق وهو بخير لم يمت، فعندما علم الصحابة بذلك فرحوا ولم يحزنوا على ما فاتهم ولا على ما أصابهم من الهزيمة أو فوات الغنائم أو الجراح لأنهم ظفروا برسول الله ﷺ فتحقَّقَ قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٣)، والإنسان إذا أصيب بمصيبة فتصورها أكبر مما هي عليه ثم علم حجمها الحقيقي يطمئن ويرتاح؛ فالسلوك مرآة الفكر، وعلى الإنسان أن يقارن مصيبته بالمصيبة الكبرى وهي وفاة النبي ﷺ.

خامسًا ـ الواقعية في النظرة إلى الحياة والبعد عن الخيالية:

من الناس من يصبح مكتئبًا بسبب الخطأ في التفكير، وهذا أمر واقع أحيانًا، فمن النقاط الخاطئة في طريقة التفكير، التوقُّعات الكبيرة الخيالية، والنظرة الحزينة للأمور، وتعميم الخطأ، والنظرة السلبية إلى الأمور؛ فيصبح هذا الإنسان أول ما ينظر إليه في أي أمرٍ هو الجانب السلبي وهذا يؤدي بالطبع إلى دوام الاكتئاب والحزن في حياة هذا الإنسان. وفي الحديث: «**لا يفرك مؤمنٌ مؤمنة، إن كره منها خُلقًا رضى منها آخر**» (رواه مسلم).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتاب: «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» (ص٢٤): «فيه الإرشاد إلى المعاملة الزوجية والقريب والصاحب والمعامل وكل

من بينك وبينه علاقة واتصال، فإنه ينبغي أن تُوطن نفسك على أنه لابد أن يكون فيه عيب أو نقص أو أمر تكرهه؛ فإذا وجدت ذلك؛ فقارن بين هذا وبين ما يجب عليك، أو ما ينبغي لك من قوة الاتصال والإبقاء على المحبة، بتذكُّر ما فيه من المحاسن والمقاصد الخاصة والعامة وبهذا الإغضاء عن المساوئ وملاحظة المحاسن تدوم الصحبة والاتصال، وتتم الراحة وتحصل لك» اهـ.

فاتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن، واحرص على مرضات الله، واعلم أن رضاءَ كل الناس عنك غاية لا تُدرك، فاستقم كما أُمرت: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ (فاطر:٨).

سادسًا ـ تقديم حسن الظن:

لابد من حمل الناس على أحسن محاملهم، وإحسان الظن بهم، والتماس العذر لهم، فالمؤمن هو الذي يلتمس للناس المعاذير، والمنافق هوالذي يلتمسُ لهم الزلات. وقد أُمرنا أن نقبل من الناس علانيتهم ونكل سريرتهم إلى الله، وهو يتولى السرائر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات:١٢).

والإنسان لا يطمئن ولا يرتاح إلا إذا أحسن الظن بالناس وأساء الظن بنفسه، وليس معنى إحسان الظن أن يُخدع الإنسان ويُلدغ من نفس الجُحر مرتين، كما جاء عن قول عمر ﷺ أنه كان يقول: «لست بالخب ولا الخبُّ يخدعني».

فهو ليس بمكار يخدع الناس، ولكنه أيضًا لا يُخدع إذ أنه منتبه تمامًا، ولا يتعارض هذا مع قول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ «من خدعنا بالله انخدعنا له» في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ (الأعراف:٢١-٢٢)، كما لا يتنافى هذا الكلام مع وجوب الحذر الدائم من الكفار لقوله تعالى: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ (النساء:١٠٢).

ولقوله ـ جل وعلا ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمران: ١١٨)، وقوله: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (هود: ١١٣).

سابعًا ـ كيف التصرف حيال أذى الناس؟:

قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت: ٣٤)، وقال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، وقال: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: ٢٢)، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (فصلت: ٣٦)، وقال سبحانه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ (الإسراء: ٥٣).

فلا تقابل السيئةَ بالسيئةِ، وأنت عندك من علو الهمَّة ما يجعلك تعفو وتصفح وتواجه الإساءة بالإحسان، وتكظم غيظك طلبًا لعفو ربك عنك من كثرة ذنوبك وخطاياك، واحذر أن تواجه المعصية بالمعصية.

ففي الحديث: «**أتدرون من المفلس؟ إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طرح في النار**» (رواه مسلم).

ولهذا لما علم أحد العلماء أن فلانًا قد اغتابه، أخذ له طبقًا من الرطب وقال: «بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك، ولم أجد ما أكافؤك به غير هذا».

ولما قال يهوديٌّ لإبراهيم بن أدهم: ألحيتك أطهر أم ذنب الكلب أطهر؛ فقال له إبراهيم: إن أنا دخلت الجنة كانت لحيتي أطهر من ذنب الكلب، وإن أنا دخلت النار كان ذنب الكلب أطهر»، فأسلم اليهودي. فإذا قال شخص لك كلامًا يؤذيك، اتركه واذهب وهو الذي سيتضايق ويغتاظ ﴿قُلْ مُوتُوا

بِغَيْظِكُمْ﴾ (آل عمران:١١٩)، واعلم أن العلم بالتعلـم، وأن الحلم بالتحلُّم، ومن يتحرَّ الخير يُعطه، ومن يتوقَّ الشر يُوقَهُ.

ثامنًا ـ الأمـل:

الليل يعقبه نهار، ولن يغلب عُسْرٌ يُسرين.

وفي الحديث الصـحيح: «**واعلم أن النصـرَ مع الصبر، وأن الفـرجَ مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**»، فكلما اشتدت عليك الأمور فـاعلم أن الفرج قد اقترب، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح:٥-٦)، وقال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق:٧).

فتـوسم الخير واعـلم أن باب الأمل مفتـوح ولا ينقطع رجاؤك في سـعة رحمة الله، وقد ذكر العلماء أن المصيبة التي يُبتلى بها العبد يكون له فيها نِعم ثلاث:

١ ـ أنها لم تكن أكبر مما كانت.

٢ ـ وأنها لابد كائنة وقد كانت.

٣ ـ وأنها لم تكن في دينه.

ومعرفة ذلك من شأنه أن يُبعد الضيق والحزن عن الإنسان.

❐ ❐ ❐

العلاج الطبي للاكتئاب

الطبيب النفسيُّ ينبغي عليه أن يستخدم الأساليب السابقة ولا يغفلها، هذا بالإضافة لاستخدامه أسلوب العلاج الجماعيِّ والعلاج الفكريِّ وبالكهرباء، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالتداوي، فقال: **«تَدَاوَوْا يا عباد الله، فإن الله لم يضع داءً إلا ووضع له دواء، غير داء واحد: الهرم»** (رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم).

وبعض الناس يتصورون أن الأطباء النفسانيين يعطون المرضى مخدرات والواقع أن هؤلاء الأطباء هم أول من يعالج مدمني المخدرات، والأطباء لا يصفون المخدرات وإنما هناك أدوية تعطى للمريض في حالات الاكتئاب الشديد، وخاصة إذا كان سببُ اكتئابه مرضًا عضويًا أو وراثيًا أو كيميائيًا، ولابد في هذه الحالة من الرجوع لصاحب التخصص الموثوق، والمخدرات المحظورة طبيًا موجودة في قائمة منشورة من قِبل منظمة الصحة العالمية، ومن يطلع على تلك القائمة لا يمكن أن يجد فيها الأدوية النفسيَّةَ، ولذا فالأدوية النفسيَّةُ تصرف كغيرها من الأدوية الأخرى؛ وكلامنا هذا لا يُنافي وقوع بعض التجاوزات من بعض الأطباء النفسانيين في موضوع الدواء وغيره، كأمر المكتئب ببعض المعاصي حتى تنحل عقدة اكتئابه، وهذا لا يجوز إذ أن النبي ﷺ قال: **«تَدَاوَوْا ولا تَتَدَاوَوْا بحرامٍ»**.

فالتداوي إنما يكون بالمباح الذي لا مضرة فيه ولا مفسدة معه، وشأن الطبيب النفسي في هذا الخطأ كشأن غيره من المخطئين، ولا يصح تعميم ذلك على كل الأطباء النفسانيين، إذ أن مهمتهم عظيمة ودورهم كبير وخصوصًا مع كثرة الحالات النفسية والعصبية، فلا يجوز تخويف الناس من هذا التخصص، كما لابد من انتهاء الفكرة المريعة عن العلاج بالكهرباء؛ فالحقيقة أنه علاج فعّال جدًا وخاصةً في حالات الاكتئاب الشديد، وله مفعول أسرع من الأدوية.

نصيحتي لمن يتعامل مع المرضى وبخاصة الحالات النفسية والعصبية

لابد من الرفق مع الناس عـامة، ومع المرضى بصـفة خاصـة؛ فمـا كان الرفق في شيء إلا زانه، ومـا نُزع مـن شيء إلا شـانه، وربنا رفـيق ويحب الرفق في الأمر كـله، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطى على غـيره، والرحـمة بذوي العاهات، والشـفقة بالمرضى مطلوبة ومشـروعة؛ فالراحمـون يرحمهم الرحمن «**ارحمـوا من في الأرض يرحمكم من في السـماء**»، وإذا كان في كل ذي كبد رطبة أجـر، وقد دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعـمتها إذ حبسـتها، ولا هي تركتها تأكل مـن خشاش الأرض، وعلى العكس، دخلت بغيٌّ الجنة في كلب سـقته؛ فـشكر الله لها صنيعـها، وإذا كـان الكافر يرحم بالرحمة العامة؛ فـيُطعم من جوع ويُسقى من عطش، ويُداوى من مرض ـ ما دام أنه ليس محاربًا ـ فكيف بالمسلم إذا مرض؟!

لاشك أنه ينبغي عيادته واللطف به والشفقة علـيه وقضاء حاجته والسعي في إراحته، وهذا كله متـأكد مع أصحاب الأمراض النفسية والعـصبية، وقد لوحظ أن الناس بينما قد يمتـثلون هذه الأوامر مع المريض طريح الفراش، إلا أنهم على العكس والنقـيض، سرعـان ما تضـيق صدورهم بالمريض النـفسي والعصـبي، ويستهزءون ويسـتخفُّـون به، ويعنفونه وقد يضـربونه، ويهملونه ويحبسونه إلى غـير ذلك من التصرفات التي من شأنـها أن تمرض الصحيح، وأن تزيد حـالة المرض حِدَّةً، وقد يـكون الدافع لهذه التـصرفات هـو الجهل بحالة الشخص وطبـيعة مرضه وخـصوصًا وهو يراه عاملاً مـتزنًا في جوانبَ أُخر كما في حالات الوسوسة وانفصام الشخصية مثلاً.

وقد يكون الدافع هو الجهل بسوء عاقبة هذا التصرف والسلوك، وأننا بذلك نُدخِل المريض في دُوامةٍ لا تنتهي، ونُجري عليه أحكامًا ليس هو من أهلها، ونُخاطبه مخاطبة من يعقل، وقد لا يكون كذلك.

إن المريض النفسي والعصبي لا يقل في احتياجه الشفقة والرفق والرحمة عن مريض الأنفلونزا والروماتيزم والسرطان... فاتقوا الله في عباد الله، ولا تفرح في بلوى أخيك فيُعافِيه الله ويبتليك، والرفق به سواء كنت قريبًا أو صديقًا أو طبيبًا معالجًا ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨١).

□ □ □

توصيات مهمة عامة لطبيب نفسي[1]

هذه التوصيات للدكتور محمد بن عبد الله الصَّغير الأصبهاني في قسم الأمراض النفسية في كلية الطب بمستشفى الملك خالد الجامعي، وقد نبعت من دراسةٍ ميدانيةٍ عميقةٍ قام بها ـ جزاه الله خيراً ـ.

أولاً ـ توصيات للمجتمع عمومًا ـ بأفراده الأصحاء والمرضى ـ وتشمل:

- التوكُّل على الله تعالى، وعدم الخوف من البشر، فكل شيء بقضاء وقدر من رب العالمين.
- ليس عيبًا ولا عاراً أن تصيب المسلم بعض الأعراض النفسية.
- بذل كل الأسباب المشروعة في العلاج، كالرقية الشرعية والدواء الطبي وغيرهما.
- عدم التحرج من مراجعة الأطباء النفسيين، والاستفادة مما عندهم ـ إن لم يخالف الشرع ـ.
- إدراك أن الأدوية النفسية ليست مُخدرات.

وقد بُحث هذا الموضوع في بعض المجالس الفقهية العلمية، وبيَّن العلماء جواز استعمالها، وأما إساءة استخدام الأدوية ـ سواء النفسية أو غيرها ـ وأخذُها بطريقةٍ غير علمية فقد يؤدي إلى مضارَّ تنهى عنها الشريعة.

ثانيًا ـ توصيات للمعالجين ومن يقومون بالرقية، وتشمل:

- تقوى الله تعالى في عقائد المسلمين وأموالهم وأعراضهم.
- طلب العلم الشرعي والوعي الصحي، ومحاولة الجمع بينهما، والحذر من المبالغة والتنفير من الأساليب الطبية.

---

(١) نقلاً عن كتاب «برهان الشرع في إثبات المس والصرع» (٢٠٩-٢٢١).

- التعاون مع الأطباء عمومًا والنفسيين خصوصًا، لا التنفير منهم أو تقمص شخصياتهم.

ثالثًا ـ لطلبة العلم:

- تعليم الناس أمور العقيدة، وبخاصة تلك المرتبطة بالتداوي والتوكل على الله تعالى.
- الاطلاع على الطب النفسي وعلم النفس للتمحيص والاستفادة؛ فالحكم على الشيء فرع من تصوره.

رابعًا ـ توصيات للأطباء النفسيين:

- الحذر من تسفيه رأي المريض.
- عدم حرمان المريض من الرُّقية الشرعيَّة.
- تمحيص العلوم النفسية الغربية على ضوء تعاليم الإسلام.

خامسًا ـ للإعلام:

- الحدّ من الإثارة الإعلاميَّة غير المدروسة، وإخضاعها للمراقبة الشرعيَّة والصحيَّة.
- السعي في التوعية والتعليم الشرعي والصحي.

سادسًا ـ توصيات في النواحي الأمنية والصحية:

- متابعة مهنة المعالج بالرُّقية، وتصنيفها على أُسس شرعيَّة وصحيَّة، بحيث تحمي المجتمع من تلاعب ضعيفي النفوس، وتتيح لأهل العلم الشرعي والأطباء المتخصصين الممارسة الصحية.

❐ ❐ ❐

السحر والعمل

تناولت كتبُ التوحيد والتفسير والفقه موضوع السحر بالبحث والتفصيل، وقد ذكر الشنقيطي في «أضواء البيان»، أن السحر يطلق في اللغة على كل شيء خفي سببُهُ ولَطُفَ ودَقَّ، وفي الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع مانع لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، وقد قسم الفخر الرازي السحر إلى ثمانية أقسام، والسحر منه ما هو حقيقة ومنه ما هو تخييل، ولا يجوز تعلّم السحر أو استعماله، فإن كان مما يُعظم فيه غير الله كالكواكب والجن وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر فهو كفر بلا نزاع، ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة فإنه كفر بلا نزاع، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (البقرة: ١٠٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه: ٦٩).

وإن كان السحرُ لا يقتضي الكفر كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها فهو حرام حرمة شديدة ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر، وقد ذكر ـ رحمه الله ـ أن الساحر إن كان استعمل السحر الذي هو كفر، فلا شك في أنه يقتل كفرًا لقوله ﷺ : «**من بدل دينه فاقتلوه**»، قال: «وأظهر القولين عندي في استتابته أن يُستتاب فإن تاب قُبلت توبتُه». وقد وردت الآثار عن عمر وأم المؤمنين وجندب ﷺ بقتل الساحر ولم يُعلم لهم مخالف من الصحابة.

● ولا يجوز تعلُّم السحر من غير عمل به على قول جمهور العلماء لقوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ﴾ (البقرة: ١٠٢).

● استخراج السحر إن كان بالقرآن كالمعوذتين، وآية الكرسي ونحو ذلك مما تجوز الرقية به فلا مانع من ذلك، وإن كان بسحر أو بألفاظ عجمية، أو بما لا يفهم معناه، أو بنوع آخر مما لا يجوز فإنه ممنوع.

• الساحر قد يُفرق بين المرءِ وزوجِهِ، وقد يُمرض ويضرُّ وينتقلُ من مكان إلى مكان بسرعة لا يألفُها البشر، ولكنه لا يستطيعُ أن يوقف الشمس ويسقط النجوم ويوقف حركة الأرض ويبعثَ الحياة في الأموات، ويخلق من الجماد أحياء، كما لا يستطيع مسخ الإنسانِ حيوانًا أو الحيوان إنسانًا، وكل ما أوهم فعل شيء من ذلك فهو حيلة تروج على أصحاب العقول الضعيفة.

• ذكر الأشقر في كتابه: «عالم السحر والشعوذة» أن الساحر لا يستطيع أن يرتقي في سحره ما لم يعبّد نفسه للشيطان، ولذلك فإن الساحر تتدنس نفسه بالخبث والفساد وتتلذذ بالشر، والشيطان يلزم الساحر بالكفر والشرك ومحادة الله ورسوله، ومع كل هذا الولاء؛ فإن الشيطان يتخلى عن الساحر وهو في أشد الحاجة إليه ويتركه لمصيره المرهوب عندما ينزل به العذاب.

• السحر عالم عجيب وانحراف قديم في تاريخ الإنسان، وليس هو من باب خرقه العادة، وهو عبارة عن علم مُكتسب يحصل بالتعلم والصناعة، ويمكن أن يحوزَهُ الأذكياء والأغبياء، ولكن لا يمكن أن يتعاطاه الصالحون الأتقياء، وحال السحرة تدل عليهم، فهم أفسق الناس وأرذلهم.

• يمكن للسحر أن يبطله ساحر مثله، وقد يبطله الأتقياء الصلحاء الذين يلجؤون إلى الله ويحتمون به، وطرائق الأمم للوقاية من السحر مبنيةٌ عادةً على اللجوء إلى السحرة، وتقوم مجملها على الكفر والشرك والضلال، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وَهَدْيُهُ يقوم على الاحتماء بالله، والالتجاء إليه، وقراءة القرآن والأدعية والأذكار.

• على المسلمين أن يتوكَّلُوا على ربهم فيما ينوبهم من مصائب ومشكلات، ولا يلجؤون إلى السحرة والعرافين والكهَّانِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣).

الطرق الشرعية
في الوقاية من السحر والسحرة

بعد هذا العرض الإجمالي المختصر لموضوع السحر ننتقل إلى ذكر الوقاية منه وعلاجه، وخير علاج للسحر أن يتقيهُ المرء قبل وقوعه وحدوثه؛ فالوقاية خير من العــلاج، وقد بيَّن لنا القرآن كيف يُحصِّن المسلم نفــسه من الشيطان وأعوانه وأتباعه، ومن هذه الطرق:

١ ـ الاستعانة بالله، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (الأعراف: ٢٠٠)، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ (المؤمنون: ٩٧-٩٨).

وأفضل ما يُتعوذ به المعوذتان: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (سورة الفلق). ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (سورة الناس). والاستعاذة: التجاء واحتماء بالله العزيز الحكيم العليم البصير الذي يعلم كيد الشيطان والسحرة، وهو قادر على رد كيدهم ومكرهم.

٢ ـ تقــوى الله؛ فمن اتقى الله تولى الله حــفظه، ولم يكله إلى غــيره: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: ٢)، وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ (آل عمران: ١٢٠).

٣ ـ التوكل على الله والاعتــماد عليه؛ فمن توكل على الله فهــو حسبه، والتوكل من أقوى الأســباب، التي يدفع بها العبــد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣).

٤ ـ تجريدُ التوبة إلى الله من الذنوب، التي سلطت عــليه أعداءه؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠)،

وقال: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٦٥).

٥ ـ الصدقة والإحسان، فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء والسحر والحسد.

٦ ـ تجريد التوحيد والتوصُّل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح، وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها، ولا تضرُّ ولا تنفعُ إلا بإذنه، وقد قال ربُّ العزة في السحر: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٠٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (يونس: ١٠٧). فإذا جرد العبدُ التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه.

٧ ـ الإكثار من قراءة القرآن والأدعية المأثورة، وقد سمى ابن القيم الرُّقى بالقرآن والأدعية المأثورة بالأدوية الإلهية، وبيَّن أنها من أعظم ما يقي الإنسان من السحر ويدفع شر السحر، فإن الإنسان الذي لا يُحصن نفسه بهذه الأدوية الإلهية هو الذي أعان على نفسه، خاصةً إذا علق قلبه بغير الله.

❐ ❐ ❐

الطرق المشروعة
لإزالة السحر بعد وقوعه

١ ـ *الرقى والتعاويذ:*

ويشترط فيها ما يلي:

الأولـ أن لا يكون فيها شركٌ ولا معصية، كدعاء غير الله، والإقسام على الله بغير الله.

الثانيـ أن تكون بالعربية أو بما يفقه معناه.

الثالثـ أن لا يُعتقد كونها مؤثرة بنفسها.

قال شارح الطحاوية ـ رحمه الله ـ: «واتفقوا على أن كل رُقية وتعزيم أو قسم فيه شركٌ بالله؛ فإنه لا يجوز التكلمُ به، وإن أطاعته الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يُتكلم به لإمكان أن يكون فيه شرك ولا يُعرف، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**»، وأنفع أنواع الرقى ما كان بالقرآن الكريم، وللمسلم أن يرقيَ نفسه، ويمكن أن يرقيَ غيره، وأن يرقيهُ غيرُهُ، ويمكن للرجل أن يرقي امرأته، ويمكن للمرأة أن ترقي زوجها، ولاشك أن صلاح الإنسان له أثرٌ في النفع لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧).

وقراءة القرآن والأذكار المأثورة لها خاصية في النفع من السحر ممن قرأ بها، إذا كان صالحًا مُوقنًا بنفعها.

٢ ـ *استخراج السحر وإبطاله:*

وهذا من طرق علاج السحر، يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «رُوي عن الرسول ﷺ في علاج السحر نوعان:

أحدهما ـ وهو أبلغهما استخراجه وتبطيله، كما صح عنه ﷺ أنه سأل ربه سبحانه في ذلك، فدلّ عليه فاستخرجه من بئر، فكان في مشط ومُشاطة وجف طلعة ذكر، فلما استخرجه ذهب ما به، حتى كأنما نشط من عقال، فهذا أبلغ ما يُعالج به المطبوبُ «المسحور» وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالاستفراغ» اهـ. إعلام الموقعين (٣ / ١٠٤).

٣ ـ *استعمال الأدوية المباحة:*

ويدخل في ذلك الأدويةُ والجراحاتُ التي يعرفها الأطباء، وورد في صحيح البخاري عن عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اصطبح كلَّ يوم سبعَ تمرات عجوة لم يضره سمٌّ ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل**»، فتناول المرء في صبيحة كل يوم سبع تمرات عجوة من الأدوية النافعة بإذن الله، وقد ورد في بعض الأحاديث تقييد التمر بتمر المدينة، أو بعالية المدينة، ـ والعالية اسم موضع بالمدينة ـ.

وذكر ابن بطَّال أن في كتب وهب بن منبه: «أن يأخذ سبعَ ورقات من سدر أخضر، فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ آية الكرسي والقوافل، ثم يحسو منه ثلاث حسيات، ثم يغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حُبس عن أهله» فتح الباري (١٠ / ٢٣٣).

ويقول ابن حجر ـ رحمه الله ـ أيضًا: «ووقفت على صفة النشرة في كتاب «الطب النبوي» لجعفر المستغفري قال: وجدت في خط نصوح بن واصل، أن حماد بن شاكر علَّمه أن الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله، وأطاق ما سواها؛ فإن المبتلى بذلك يأخذ حزمة قضبان وفأسًا ذا قطارين، ويضعه في وسط تلك الحزمة، ثم يؤجج نارًا في تلك الحزمة، حتى إذا حمى الفأس استخرجه من النار، وبال على حرِّه، فإنه يبرأُ بإذن الله تعالى».

وتكلم عن طريقة حل السحر فقال: «وأما النشرة فإنه يجمع أيام الربيع ما قدر عليه من ورد المغارة وورد البساتين، ثم يلقيها في إناء نظيف، ويجعل فيها ماءً عذبًا، ثم يغلي ذلك الورد في الماء غليًا يسيرًا، ثم يُمْهَلُ حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه؛ فإنه يبرأُ بإذن الله تعالى».

٤ ـ التداوي بالحجامة والجراحة:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «والنوع الثاني ـ الاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر، فإن للسحر تأثيرًا في الطبيعة وهيجان أخلاطها وتشويش مزاجها، فإذا ظهر أثره في عضو وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو نفع جدًا، وقد ذكر أبو عبيد في كتاب «غريب الحديث» له بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن النبي ﷺ احتجم على رأسه بقرن حين طب، قال أبو عبيد معنى طب: أي سُحِرَ» اهـ.

وما أصيب به النبي ﷺ لا يستلزم نقصًا ولا محالاً شرعيًا كما يقول الشنقيطي في «أضواء البيان»: أنه من نوع الأعراض البشرية، كالأمراض المؤثرة في الأجسام، ولم يؤثر البتة فيما يتعلق بالتبليغ، وكان النبي ﷺ يُخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله.

❐ ❐ ❐

الآيات والأدعية النافعة
التي تقي من السحر وتزيله بعد الإصابة به

القرآن كله شفاءٌ ورحمة للمؤمنين ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء: ٨٢)، وكذلك ذكر الله والرقى والأدعية التي يلجأ فيها إلى الله ويتوجه بها إليه كلها شافية كافية - إن شاء الله - إن خرجت من قلب موقن بالإجابة صادق التوجه، ومن هذه المعاني:

١ - *الاستعاذة من الشيطان:*

الاستعاذة من الشيطان، والاحتماء بالله العظيم من هذا العدو اللعين ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٢٠٠)، وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول: إن أباكما كان يعوِّذ إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامة» (رواه البخاري).

٢ - *التسمية:*

فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان جُنح الليل - أو أمسيتم - فكفُّوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشرُ حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأوكُوا قِربَكُم واذكروا اسم الله، وخمِّروا - غطوا - آنيتكُم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا وأطفئوا مصابيحكم»**.

٣ - *قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين في الصباح والمساء:*

روى الترمذي في سُننه عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه قال: «خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلي بنا،

قال: فأدركتُـه فقال: «قل». فلم أقل شيئًا. ثم قال: «قل». فلم أقل شيئًا. قال: «قل». قلت: ما أقـولُ: قال: «قل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعـوذتين، حين تُمسي وحين تُصبح ثلاث مراتٍ، تكفيك من كل شيء».

وقال صديق حسن خان: «وللمـعوذتين أثرٌ عظيم في إزالة السحر، فمن داوم على قراءتهمـا في الأيام والليالي لا يضره السـحر بإذن الله تعالى، وإذا قرأهما المسحور زال أثره إن شاء الله تعالى».

وفي حديث عـائشة ﵂ قالت: «إن رسول الله ﷺ كـان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين، وينفث» (أخرجه مالك في الموطأ وهو في الصحيحين من طريقه).

٤ ـ قراءة سـورة البقرة: ففي صحـيح مسلم عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيـوتكم مقابر، إن الشيطـان ينفر من البيت الذي تقرأ فـيه سورة البقرة».

٥ ـ قراءة آية الكرسي: فقـد قال شيطان لأبي هريرة ﵁ في قـصة رواها البخاري في صحيـحه: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَـيُّومُ﴾ (البقرة:٢٥٥)، فـإنك لن يزال عليك من الله حـافظٌ، ولا يقربنَّك شيطان حتى تُصبح» فقال الرسولُ ﷺ لأبي هريرة لما حدثه بما قاله الشيطان: «أما إنه صَدَقَكَ وهو كذوب».

٦ ـ *القراءة بالآيتين الأخيرتين من سورة البقرة:*

ففي الحـديث الذي يرويه البخـاري عن ابن مسعـود ﵁ قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» (صحيح البخاري)، ومعنى قوله ﷺ: «كفـتاه ـ كفتـاه من الشيطان»، ففي حديث النعمـان بن بشير ـ يرفعه ـ: «إن الله كتب كتـابًا، وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البـقرة، ولا يُقرآن في دار فيقـربها الشيطان ثلاث ليالٍ» (أخرجه الحاكم وصححه).

٧ ـ قول: «لا إله إلا الله» في اليوم مائة مرة:

ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عِدْلُ عشر رقاب، وكتبت له مائةُ حسنة، ومُحيت عنه مائةُ سيئة،وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا أحدٌ عمل أكثر من ذلك**» (رواه البخاري).

٨ ـ الآيات التي يتضمن لفظها إبطال السحر:

كقوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ (الأعراف:١١٨-١١٩)، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس:٨١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه:٦٩).

٩ ـ الأدعية والتعاويذ المأثورة عن النبي ﷺ:

الأدعية والتعاويذ المأثورةُ عن النبي ﷺ الواردة في الأحاديث الصحيحة كحديث «**ربنا الله الذي في السماء، تبارك اسمُك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتُك في السماء، أنزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع فيبرأ**» (رواه أبوداود)، وكحديث عثمان بن العاص قال: أتاني رسول الله ﷺ وبي وجع قد كاد يهلكني؛ فقال رسول الله ﷺ: «**امسح بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته وسلطانه من شر ما أجد**»، قال: ففعلت فأذهب الله ما كان بي؛ فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وكتب السُنَّة من الأمهات وغيرها مشحوناتٌ بالأدعية والمعوذات الكافية الشافية بإذن الله عزَّ وجلَّ.

وفي الختام نقول كما قال صديق حسن خان: «إن كلَّ عملٍ ودعاء ينشر المرض والداء، وينفع من الأسقام والأدواء يصدق أنه نشرُه، يجوز الانتفاع به، إن كان من ألفاظ القرآن والسُّنَّة، أو من المأثور من السلف الصلحاء، الخالي عن أسماء الشرك وصفاته، باللسان العربي، وإلا كان حرامًا أو شركًا».

❒ ❒ ❒

العين والحسد

أولاً ـ بعض الأحاديث الدالة على العين والحسد:

روى أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**العين حق**» (أخرجه البخاري في الطب) باب «العين حقٌ» (وأخرجه أبوداود، والترمذي، ومالك، وأحمد) وعن عبيد ابن رفاعة أن أسماء بنت عُميس قالت: يا رسولَ الله إن بني جعفر تُصيبهم العين أفنسترقي لهم؟، قال: «**نعم، فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين**» (رواه أحمد والترمذي في الطب، والنسائي، وابن ماجه). وقد روى الترمذي من حديث أبي سعيد: «أن النبي ﷺ كان يتعوَّذُ من عين الإنسان» فلولا أن العين شر لم يتعوَّذْ منها.

وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «**لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استُغسلتم فاغسلوا**» وفي الباب عن عبد الله بن عمرو، وهذا حديث صحيح.

وفي حديث أبي سعيد الصحيح رُقية جبريل النبي ﷺ وفيها: «**بسم الله أرقيك، من كل شيءٍ يؤذيك، من شر كل نفس، أو عين حاسد، الله يشفيك**» وأخرج ابن سعد، وابن ماجه، والحاكم، وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء النبي ﷺ يعودني فقال: **ألا أرقيك برقُية رقاني بها جبريلُ**؟، فقلت: بلى بأبي أنت وأمي، قال: **بسم الله أرقيك، والله يشفيك من كلِّ داء فيك** ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ فرقى بها ثلاث مراتٍ».

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ رخَصَ في الرقية من الحُمَّةِ والعين والنملة».

وفي سُنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يؤمر العائن فيتوضأ، ثم يغتسل منه المَعين» (أخرجه البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**أمرني النبي ﷺ، أو أمر أن نسترقي من العين**». وفي الحديث الذي رواه مالك «**أن العين حقٌّ، توضأ له، فتوضأ له**»، ويذكر جابر ـ يرفعه ـ «**إن العين لتُدْخِلُ الرجل القبر والجمل القِدْرَ**» (أخرجه البزار بسند حسن).

ثانيًا ـ الكلام على بعض الآيات المتعلقة بالعين والحسد:

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النساء: ٥٤). وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: ١٠٩). وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق: ٥).

قال: «نفس ابن آدم وعينه»، وقد قال غير واحد من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ (القلم: ٥١)، إنه الإِصابةُ بالعين، أرادوا أن يصيبوا بها رسول الله ﷺ، فنظر إليه قوم من العائنين وقالوا: «ما رأينا مثله ولا مثل حجته»، وكان طائفة منهم تمر به الناقة والبقرة السمينة فيعينها، ثم يقول لخادمه: «خذ المكتل والدرهم وائتنا بشيء من لحمها، فما تبرح حتى تفتح فتنحر»، وقال الكلبي: كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل، ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الإبل، فيقول: «لم أر كاليوم إبلاً ولا غنمًا أحسن من هذه» فما تذهب إلا قليلاً حتى يسقط منها طائفة. فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين، ويفعل به كفعله مع غيره، فعَصَم اللهُ رسوله وحَفِظَهُ، وأنزل عليه: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾، هذا قول طائفة.

وقالت طائفة أخرى منهم ابن قتيبة: ليس المراد أنهم يُصيبونك بالعين كما يُصيب العائنُ بعينه ما يعجبُه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظرًا شديدًا بالعداوة والبغضاء يكاد يُسقطك.

كلام نفيس يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسيره معنى الحسد: «أنه تمنى زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها، والمنافسة هي تمني مثلها وإن لم تزل، فالحسد شر مذموم والمنافسة مباحة وهي الغبطة، وقد روى أن النبي ﷺ قال: «**المؤمن يغبط والمنافق يحسد**»، وفي الصحيحين: «**لا حسد إلا في اثنتين**» يريد لا غبطة، قال العلماء: «الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول، وذلك بأنه يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فيتبع مساوئه ويطلب عثراته».

قال ﷺ: «**إذا حسدت فلا تبغ**»، والحسد أول ذنب عصى الله به في السماء، وأول ذنب عُصِيَ به في الأرض فحسد إبليس آدم، وحسد قابيلُ هابيلَ، والحاسد ممقوت مبغوض مطرود ملعون، وذكر ـ رحمه الله ـ أن الله أمر نبيَّهُ ﷺ أن يتعوَّذَ من جميع الشرور، فقال: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾. وجعل خاتمة ذلك الحسد، تنبيهًا على عظمه وكثرة ضرره، والحاسد عدو نعمة الله.

❑ *قال بعض الحكماء: بارز ربه من خمسة أوجه:*

أحدها ـ أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره.

وثانيها ـ أنه ساخطٌ لقسمة ربه، كأنه يقول: لو قسمت هذه القسمة؟.

وثالثها ـ أنه ضاد فعل الله، أي إن فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله.

ورابعها ـ أنه خذل أولياء الله أو يريد خُذلانهم وزوال النعمة عنهم.

وخامسها ـ أنه أعان عدوه إبليس.

وقيل: «الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاء، ولا ينال في الخلوة إلا جزعًا وغمًا، ولا ينال في الآخرة إلا حزنًا واحتراقًا، ولا ينال من الله إلا بُعدًا ومقتًا».

روى أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث لا يُستجاب دعاؤهم: آكلُ الربا، ومُكْثِرُ الغيبة، ومن كان في قلبه غِلٌّ أو حسدٌ للمسلمين**»، والله تعالى أعلم اهـ.

ثالثًا ـ الفرق بين العاين والحاسد:

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في تفسير المعوذتين: «والعاينُ والحاسدُ يشتركان في شيء ويفترقان في شيء؛ فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه، وتتوجه نحو من يريدُ أذاه، فالعاين تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته، والحاسد يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضًا، ويفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسدُه من جماد أو حيوان أو زرع أو مال، وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه، وربما أصابت عينه نفسه، فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في العين.. قال: النظر الذي يُؤَثِّرُ في المنظور قد يكون سببه شدة العداوة والحسد؛ فيؤثر نظره فيه كما تؤثر نفسه بالحسد ويقوى تأثير النفس عند المقابلة، حتى إن من الناس من يسقط، ومنهم من يحمل، ومنهم من يُحمل إلى بيته، وقد شاهد الناس من ذلك كثيرًا، وقد يكون سببه الإعجاب، وهو الذي يسمونه «بإصابة العين..» إلى أن قال: والمقصود أن العائن حاسد خاص، وهو أضر من الحاسد، ولهذا ـ والله أعلم ـ إنما جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن لأنه أعم؛ فكل عائن حاسد ولابد، وليس كل حاسد عائنًا، فإذا استعاذ من شر الحاسد دخل فيه العائن، وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته» اهـ.

رابعًا ـ الفرق بين الحاسد والساحر:

ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «إن أصل الحسد هو بغض نعمة الله على المحسود وتمني زوالها؛ فالحاسد عدو النعم، وهذا الشر هو من نفسه وطبعها،

وليس هو شيئًا اكتسبه من غيرها، بل هو من خبثها وشرها، بخلاف السحر؛ فإنه إنما يكون باكتساب أمور أخرى، واستعانة بالأرواح الشيطانية فلهذا ـ والله أعلم ـ قُرن في السورة بين شر الحاسد وشر الساحر لأن الاستعاذة من شر هذين تعم كل شر يأتي من شياطين الإنس والجن، فالحسد من شياطين الإنس والسحر من النوعين، فالحاسد والساحر يؤذيان المحسود والمسحور بلا عمل منه بل هو أذى من أمر خارج عنه، ففرق بينهما في الذكر في سورة الفلق، وكثيراً ما يجتمع في القرآن الحسد والسحر للمناسبة، ولهذا اليهود أسحر الناس وأحسدهم، فإنهم ـ لشدة خبثهم ـ فيهم من السحر والحسد ما ليس في غيرهم، وقد وصفهم الله في كتابه بهذا وهذا.. والشيطانُ يقارن الساحر والحاسد ويحادثهما ويصاحبهما، ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان لأن الحاسد شبيه بإبليس وهو في الحقيقة من أتباعه؛ لأنه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس وزوال نعم الله عنهم كما أن إبليس حسد آدم لشرفه وفضله وأبى أن يسجد له حسداً، فالحاسد يعينه إبليس، وأما الساحر فهو يطلب من الشيطان أن يعينه ويستعينه، وربما يعبده من دون الله حتى يقضي له حاجَتَهُ، وربما يسجد له، وفي الموطأ عن كعب الأحبار قال: «كلمات أحفظهن من التوراة، لولاها لجعلتني اليهود حماراً»: «أعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شيء أعظم منه، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجرٌ، وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ».

والمقصود أن الساحر والحاسد كل منهما قصده الشر، لكن الحاسد بطبعه ونفسه وبغضه للمحسود، والشيطان يقترن به ويُعينه ويُزين له حسده ويأمره بموجبه، والساحر بعلمه وكسبه وبشركه واستعانته بالشياطين» اهـ.

خامسًا ـ مراتب الحسد:

مراتب الحسد ثلاث:

الأولى ـ حسد تمني الزوال، وفيها يرتب العبد على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح، وهو حسد مذموم على شيء محقق.

الثانية ـ تمني استصحاب عدم النعمة؛ فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله من جهله أو فقره أو ضعفه أو شتات قلبه لبعده عن الله أو قلة دينه، فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقصٍ وعيب، فهذا حسد على شيء مُقدَّر، وهذا والذي سبقه كلاهما حاسدٌ، وعدو نعمة الله وعدو عباده، وممقوتٌ عند الله تعالى وعند الناس، وهذا لا يواس ولا يسود إلا قهرًا فهم يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها؛ فهم يبغضونه وهو يبغضهم.

والثالثة ـ حسدُ الغبطة، وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به ولا يُعاب صاحبه؛ بل هذا قريب من المنافسة، وقد قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٦)، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً وسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس**»، فهذا حسد غبطة، وصاحبها عنده من المنافسة والمسابقة والمسارعة في الخيرات همة مع محبته لمن يغبطه، وتمني دوام نعمة الله عليه، فهذا لا يدخل في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

سادسًا ـ مجاهدة النفس في دفع حسدها للآخرين:

الرجل قد يكون عنده حسد ولكن يخفيه، ولا يرتب عليه أذىً بوجه ما، لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك، ولا يعامل

أخاه إلا بما يُحب الله، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا مَنْ عصمه الله، وقيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن؟ قال: «ما أنساك لإخوة يوسف» وهذا الشعور الذي يجده الإنسان في نفسه تجاه الآخرين، هو لا يُطيعه ولا يأتمر به، بل يعصيه طاعة لله، وخوفًا وحياءً منه، وإجلالاً له أن يكره نعمه على عباده؛ فيرى ذلك مخالفة لله؛ وبغضًا لما يحب الله، ومحبة لما يُبغضه، فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك ويُلزمها بالدعاء للمحسود، وتمني زيادة الخير له، وهذا شأن الصالحين يُطيبون ويُطهرون بواطنهم، كما يحرصون على نظافة ظواهرهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).

سابعًا ـ علاج ضرر العائن

قال الترمذي ـ رحمه الله ـ: يُؤمر الرجل العائن بقدح فيُدخل كفَّه في فيه فيتمضمض ثم يرجعه في القدح، ويغسل وجهه في القدح، ثم يُدخل يده اليسرى، فيصب على ركبته اليمنى في القدح، ثم يدخل يده اليمنى، فيصب على ركبته اليسرى، ثم يغسل داخلة إزاره، ولا يُوضع القدح في الأرض، ثم يُصَبُّ على رأس الرجل الذي يصيبه العين، من خلفه صبة واحدة.

١ ـ إذا كان العائنُ يُخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين؛ فليدفع شرها بقول: «اللهم بارك عليه» كما قال النبي ﷺ لعامر بن ربيعة ـ لما عان سهل ابن ضيف ـ «**ألا بَرَّكْتَ**» أي: قلت: «اللهم بارك عليه».

٢ ـ ومما يُدفَع به إصابة العين، قول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، روى هشام بن عروة عن أبيه: أنه كان إذا رأى شيئًا يعجبه، أو دخل حائطًا من حيطانه «بستان» قال: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله».

٣ ـ ومنها: رُقية جبريل عليه السلام للنبي ﷺ التي رواها مسلم في صحيحه: «**باسم الله أرقيك، من كل دأء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أَرقيك**» (أخرجه الترمذي، وحسنه الألباني).

٤ ـ ورأى جماعة من السلف أن يكتب له الآيات من القرآن، ثم يشربها، قال مجاهد: «لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض» ومثله عن أبي قلابة، ويذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أمر أن يُكتب لامرأة يعسرُ عليها ولادتها، آيتان من القرآن، يُغسل ويسقى، وقال أيوب: «رأيت أبا قلابة كتب كتابًا من القرآن ثم غسله بماء وسقاه رجلاً كان به وجع».

٥ ـ ومنها: أن يؤمر العائنُ بغسل مغابنهُ وأطرافه وداخلة إزاره ـ وفيه قولان ـ **أحدهما**: أنه فرجه، **والثاني**: أنه طرف إزاره الداخل الذي يلي جسده من الجانب الأيمن ـ، ثم يصبُّ على رأس المعين من خلفه بغتة، وهذا مما لا يناله علاج الأطباء، ولا ينتفع به من أنكره أو سخر منه أو شك فيه، أو فعله مجربًا لا يعتقد أن ذلك ينفعه كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ والمعالجة بهذا الاغتسال تشهد له العقول الصحيحة فإن ترياق سم الحيَّة في لحمها وعلاج تأثير النفس الغضبية في تسكين غضبها وإطفاء ناره، بوضع يدك عليه، والمسح عليه وتسكين غضبه؛ فكذلك الأمر هنا، ولا يستنكر أن يدخل الماء الذي طُفئ به نارية العائن في دواء يناسب هذا الدواء.

قال الترمذي: «يؤمر الرجل العائن بقدح، فيُدخل كفه في فيه فيتمضمض، ثم يمجه في القدح، ويغسل وجهه في القدح، ثم يُدخل يده اليسرى؛ فيصب على ركبته اليمنى في القدح ثم يُدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى، ثم يغسل داخلةَ إزارِه، ولا يوضع القدح على الأرض، ثم يُصبُّ على رأس الرجل الذي يُصيبه العين من خلفه صبة واحدة».

٦ ـ ومن علاج ذلك أيضًا والاحتراز منه ستر محاسن من يُخاف عليه العين، بما يردُّها عنه كما ذكر البغوي في كتاب شرح السُّنَّة: «إن عثمان ﷺ، رأى صبيًا مليحًا، فقال: دسِّموا نُونته لئلا تُصيبه العينُ».

ثم قال في تفسيره: ومعنى «دسموا نُونته» أي: سوِّدوا نونته، والنونةُ: النُّقرة التي تكون في ذقن الصبي الصغير، وهذا التسويد ليرد العين عن الصبي.

٧ ـ ومن الرُّقى التي ترد العين، ما نقله ابن القيم عن أبي عبد الله الساجي: «أنه كان في بعض أسفاره للحج أو الغزو، على ناقة فارهة، وكان في الرفقة رجلٌ عائنٌ قلما نظر إلى شيء إلا أتلفه، فقيل لأبي عبد الله: احفظ ناقتك من العائن، فقال: ليس له إلى ناقتي سبيل، فأخبر العائن بقوله: فتحيَّن غَيبةَ أبي عبد الله: فجاء إلى رَحْله، فنظر إلى الناقة، فاضطربت وسقطت، فجاء أبو عبد الله، فأُخبر أن العائن قد عانها، وهي كما ترى فقال: دلوني عليه فدُل، فوقف عليه وقال: باسم الله، حَبْسٌ حابسٌ وحجرٌ يابسٌ، وشهابٌ قابسٌ. رددتُ عين العائن عليه، وعلى أحبِّ الناس إليه»، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (تبارك:٣-٤)، فخرجت حدقتا العائن، وقامت الناقةُ لا بأس بها.

❒ ❒ ❒

الأسباب العشرة لدفع شر الحاسد

يندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب. ذكرها ابن القيم ـ رحمه الله ـ، نقلها باختصار يسير وتصرُّف:

أحدها ـ التعوذ بالله من شره والتحصن به واللجأ إليه، وقد أمر سبحانه بالاستعاذة بالسميع العليم من نزغ الشيطان لأنها وساوسُ وخطراتٌ يلقيها في القلب، يتعلق بها العلم، وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير من شر الإنس الذين يؤنسون ويُرون بالأبصار.

السبب الثاني ـ تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه فمن اتقى الله تولَّى الله حفظه ولم يكله إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ (آل عمران: ١٢٠)، وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**»[1]، فمن حَفِظَ اللهَ حَفِظَهُ اللهُ، ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وزمامه فممن يخاف، ومن يحذر؟.

السبب الثالث ـ الصبر على عدوه، وأن لا يقاتله ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً، فما نُصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على الله ولا يستطل تأخيره وبغيه، فإنه كلما بُغِيَ عليه كان بُغْيُه جندًا وقوةً للمبغي عليه المحسود، يقاتل به الباغي نفسه وهو لا يشعر، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ (الحج: ٦٠)، وما من الذنوب ذنبٌ أسرعُ عُقوبةً من البغي وقطيعة الرحم، وقد سبقت سُنَّة الله أنه لو بغى جبل على جبلٍ لجعل الباغي منهما دكًا.

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

السبب الرابع - التوكل على الله، فمن يتوكل على الله فهو حسبه، والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يُطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، قال بعض السلف: جعل الله لكل عملٍ جزاءً من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣).

السبب الخامس - فراغُ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يَمْحُو من باله ما خطر له، فلا يلتفت إليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره؛ فإن فعلت أكل بعضها بعضًا، فلا داعي لإرادة الانتقام والتشفي من الحاسد، ولا يصدق بهذا إلا النفوس المطمئنة الوادعة اللينة، التي رضيت بوكالة الله لها وعلمت أن نصره لها خير من انتصارها هي لنفسها فوثقت بالله وسكنت إليه واطمأنت به، وعلمت أن ضمانه حقٌّ ووعده صدق، وأنه لا أوفى بعهده من الله، ولا أصدق منه قيلاً.

السبب السادس - وهو الإقبال على الله والإخلاص له، وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه في محل خواطر نفسه وأمانيها، فمن لاذ بجنابه سبحانه تخلص من كيد شياطين الإنس والجن، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الإسراء: ٦٥)، وقال في حق الصديق يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤)، فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن، لقد آوى إلى حصن لا خوف على من تحصنَ به، ولا ضيعة على من آوى إليه، ولا مطمع للعدو في الدنو منه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

السبب السابع - تجربة التوبة إلى الله من الذنوب التي سلَّطت عليه أعداءه، فما سُلِّطَ على العبد من يؤذيه إلا بذنبٍ، يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه

العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما عمله أضعاف ما يذكره وفي الدعاء المشهور: «**اللهم إني أعوذ بك أن أُشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**»[1]، لقى بعض السلف رجل فأغلظ له ونال منه؛ فقال له: قف حتى أدخل البيت ثم أخرج إليك؛ فسجد لله وتضرع إليه وتاب وأناب إلى ربه ثم خرج إليه؛ فقال له: ما صنعت؟ فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلَّطك به عليَّ، فاشتغل بنفسك وذنوبك وعيوبك وبإصلاحها وبالتوبة منها، والله يتولى نُصرتك وحفظك والدَّفْعَ عنك.

السبب الثامن ـ الصدقة والإحسان ما أمكنه؛ فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد، فإن فعل كان معاملاً فيه باللطف والمعونة والتأييد وكانت له فيه العاقبة الحميدة، فالمحسن المتصدق في حصانة إحسانه وصدقته عليه من الله جُنَّةٌ «وقاية» واقيةٌ وحصن حصين.

السبب التاسع ـ وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها، ولا يُوفقُ له إلا من عَظُمَ حظُّه من الله، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشرًا وبغيًا وحسدًا ازددت إليه إحسانًا، وله نصيحة، وعليه شفقة.

قال تعالى: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (فصلت: ٣٤-٣٦).

وتأمل حال النبي ﷺ إذ ضربه قومه حتى أَدْمَوْهُ؛ فجعل يسلت الدم عنه ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»، واعلم أن الجزاء من جنس العمل؛ فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في

---

(١) أخرجه أبو يعلى، وحسنه الألباني ـ رحمه الله ـ.

ذنوبك، وإساءتك جزاءً وفاقًا؛ فانتقم بعد ذلك أو اعف وأحسن أو اترك، فكما تدين تُدان، وكما تفعل مع عباده يُفعل معك، وقد قال النبي ﷺ للذي شكى إليه قرابته، وأنه يُحسن إليهم وهم يسيئون إليه، فقال ﷺ: «**لا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك**».

السبب العاشر ـ وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب، وهو تجريدُ التوحيد؛ فالتوحيدُ حصنُ الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين، قال بعضُ السلف: من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء قال تعالى: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ**﴾ (يونس:١٠٧)، وقال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك**».

قال بعض السلف: «من أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه جملة، ومن أعرض عن الله بكليِّته أعرض الله عنه جملة، ومن كان مرَّةً ومرَّةً، فالله له مرَّةً ومرَّةً»، فليس أنفع للعبد من التوجه إلى الله والإقبال عليه، والتوكل عليه والثقة به، وأن لا يخاف معه غيره؛ بل يكون خوفه منه وحده ولا يرجو سواه، بل يرجوه وحده، فلا يعلق قلبه بغيره، ولا يستغيث بسواه، ولا يرجو إلا إياه، ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وكل إليه وخُذل من جهته؛ فمتى خاف شيئًا غير الله سُلط عليه، ومن رجا شيئًا سوى الله خُذل من جهته وحُرِمَ خيرَه، وهذه سنَّة الله في خلقه، ولن تجدَ لسُنَّة الله تبديلاً.

❒ ❒ ❒

رقية القرحة والجرح

أخرجا في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح قال بإصبعه هكذا ـ ووضع سفيان سبَّابته بالأرض ثم رفعها ـ وقال: **باسم الله تربةُ أرضنا، بريقة بعضنا، ليشفى سقيمنا بإذن ربنا**».

ومعنى الحديث: أنه يأخذُ من ريق نفسه على إصبعه السبابة، ثم يضعها على التراب، فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الجرح ويقول هذا الكلام لما فيه من بركة ذكر اسم الله، وتفويض الأمر إليه، والتوكل عليه، فينضم أحد العلاجين إلى الآخر فيقوى التأثير، وهل المراد بقوله: «**تربة أرضنا**» جميع الأرض؟ أو أرض المدينة خاصة؟، فيه قولان كما ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ وقال: «ولا ريب أن من التربة ما تكون فيه خاصية ينفع بخاصيته من أدواء كثيرة، ويشفى بها أسقامًا رديئة».

❑ رقية *الوجع*:

روى مسلم في صحيحه، عن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم؛ فقال النبي ﷺ: «**ضع يدك على الذي تألمُ من جسدك، وقل بسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»، ففي هذا العلاج من ذكر اسم الله والتفويض إليه، والاستعاذة بعزته وقدرته من شر الألم، ما يذهب به، وتكراره ليكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدواء لإخراج المادة، وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها.

وفي الصحيحين: أن النبي ﷺ كان يعوِّذُ بعض أهله، يمسح عليه بيده اليمنى ويقول: «**اللهم رب الناس، أذهب الباس واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**».

ففي هذه الرقية، توسل إلى الله بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء، وأنه وحده الشافي، وأنه لا شفاء إلا شفاؤه، فتضمنت التوسل إليه، بتوحيده وإحسانه وربوبيته.

◻ *علاج حر المصيبة وحزنها:*

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧). وفي المسند عنه ﷺ أنه قال: «**ما من أحد تُصيبه مصيبة فيقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهم: آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها، إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها**».

◻ *علاج الكرب والهم والغم والحزن:*

أخرجا في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع، ورب الأرض ورب العرش الكريم**».

وفي جامع الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا حَزَبَهُ أمر قال: «**يا حيُّ يا قيومُ، برحمتك أستغيثُ**»، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أهمَّه الأمر رفع طرْفه إلى السماء؛ فقال: «**سبحان الله العظيم**»، وإذا اجتهد في الدعاء قال: «**يا حيُّ يا قيوم**».

وفي سنن أبي داود، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو؛ فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت**»، وفيها أيضًا عن أسماء بنت عُميس،

قالت: قال لي رسولُ الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقوليهن عند الكرب، أو في الكرب: الله ربي لا أشرك به شيئًا»، وفي رواية أنها تُقال سبع مرات.

وفي مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أصاب عبدًا همٌّ ولاحزنٌ فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدكَ، ماضٍ فيَّ حُكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألُكَ بكلَ اسم هو لك، سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابكَ، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همِّي، إلا أذهب الله حزنه وهمَّه، وأبدله مكانه فرحًا».

وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قط، إلا استُجيب له»، وفي رواية: «إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرَّج الله عنه، كلمة أخي يونس».

وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم - في المسجد - فإذا هو برجل من الأنصار يُقال له: أبو أمامة، فقال: «يا أبا أمامة ما لي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة؟»، فقال همومٌ لزمتني وديونٌ يا رسول الله؛ فقال: «ألا أعلمك كلامًا إذا أنت قلته، أذهب الله عزَّ وجلَّ همك وقضى دينك؟»، قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قل إذا أصبحت، وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجُبن والبُخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عزَّ وجلَّ همِّي وقضى عني ديني.

وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من لَزِمَ الاستغفار: جعل الله له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيقٍ مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب».

وفي المُسند: أن النبي ﷺ كان إذا حَزَبَهُ أمر فزع إلى الصلاة، وقد قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ (البقرة: ٤٥).

وفي السُنن: «عليكم بالجهاد: فإنه من أبواب الجنة يدفع الله به عن النفوس الهمَّ والغمَّ»، ويذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من كثرت همُومه وغمومه: فليُكْثِرْ من قول لا حول ولا قوة إلا بالله»، وثبت في الصحيحين: أنها كنز من كنوز الجنَّة، وفي الترمذي: أنها باب من أبواب الجنَّة.

❑ *رقية للدغة العقرب:*

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بيْنما رسول الله ﷺ يصلي إذ سجد؛ فلدغته عقرب في إصبعه؛ فانصرف رسول الله ﷺ وقال: «**لعن الله العقربَ: ما تدعُ نبيًا ولا غيره**، قال: ثم دعا بإناء فيه ماءٌ وملحٌ، فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح، ويقرأ: قل هو الله أحد، والمعوذتين، حتى سكنت» (رواه ابن أبي شيبة، والبيهقي، وابن مردويه، وأبو نعيم، وأخرجه الطبراني في الكبير والأوسط)، وقد مر بنا هديه ﷺ في رقية اللديغ بالفاتحة.

❑ *ما يُقال في الفزع والأرق في النوم والفكر:*

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: «**أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يَحْضُرون**» وكان عبد الله بن عمر يعلِّمُهُنَّ من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه وعلَّقه عليه، (وقال الترمذي: حسن غريب، وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب إلى أبي داود، والحاكم، والنسائي).

وعن بريدة قال: شكا خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: ما أنام الليل من الأرق؛ فقال النبي ﷺ: «**إذا آويت إلى فراشك فقل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جاراً من شر خلقك كلهم جميعًا، أن يفرط عليَّ أحد منهم، أو أن يبغي عليَّ؛ عز جارك وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، ولا إله إلا أنت**»، (رواه الترمذي، والنووي وضعفاه، وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب إلى الطبراني في الكبير والأوسط، وقال: وإسناده جيد إلا أن عبد الرحمن بن سابط لم يسمع من خالد بن الوليد رضي الله عنه).

الرقية الإلهية لكل شكوى

روى أبوداود في سُننــه مـن حـديث أبي الدرداء ﵁ قـال: سـمـعت رسول الله ﷺ يقول: «**من اشتكـى منكم شيئًـا أو اشتكاه أخٌ له؛ فليـقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدَّس اسمك وأمرُك في السمـاء والأرض، كما رحمتُك في السماء، فاجعل رحـمتك في الأرض، واغفر لنا حُوبنا وخطايانا، أنت ربُّ الطيـبين، أنزل رحمة من عندك، وشفاءً من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ بإذن الله**».

وفي صحيح مسلم ـ عن أبي سعـيد الخدري ﵁: «أن جبريل ﵇ أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أشتكيتَ؟ قال: **نعم**، فقال جبريل ﵇: باسم الله أرقـيك، من كل داء يؤذيك، ومـن شـر كل نفس أو عين حـاسـد، الله يشـفيـك، باسم الله أرقيك»، ولا يتـعـارض هذا مع قـول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبوداود «**لا رقية إلا من عين أو حُمَّة**»، والحمة: ذوات السموم كلها، وحديث: «**لا رقية إلا من عين أو حـمة أو دم لا يرقا**» فإنه ﷺ لم يُرد به نفي جواز الرقيـة في غيرها، بل المراد: لا رقية أولى وأنـفع منهما في العين والحُمَّة ـ كما بيَّن ابن القيم رحمه الله ـ ويدل عليه سائر أحاديث الرُقى العامة والخاصة.

وفي صـحـيـح مسلم: «رَخَّصَ رسـول الله ﷺ في الرقـيـة من العين والحمة والنَّـمِلة»، والرقى من قدر الله تعالى، وهي من أنفع أسبـاب العلاج بإذن الله، فلا يُستهان بها ولا يُستخف بحقها، وقد ورد في الحديث: أنه قيل لرسول الله ﷺ: يا رسـول الله: أرأيت دواءً نتداوى به، ورُقىً نسترقـيها، وتُقىً نتقيها، هل يـرد ذلك من قدر الله من شيء؟، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه من قدر الله**» (حديث حسن، أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد).

◻ *عِرق النَّسَا:*

عن أنس بن مالك ﷺ «أن النبي ﷺ أمر من به عِـرقُ النَّسَا أن يأخذ إليةَ كبش عربي ليس بالصغير ولا بالكبير، فـيقطِّعُها قطَعًا صغارًا، ثم يُجزِّئها ثلاثة أجزاء، فيشرب كل يوم جزءًا» (حديث صحيح، أخرجه ابن ماجه، والحاكم).

◻ *ما يستمسك به الدم من الجراح:*

عن أبي حـازم أنه سمع سـهل بـن سعـد ﷺ وهو يُسأل عـن جرح رسول الله ﷺ قال: «أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يـسكب، وبِمَ دُوِوَى، قال: كـانت فاطمة بـنتُ رسول الله ﷺ تغسله وعليٌّ يسكبُ الماء بالمجنِّ، فلما رأت فاطـمة أن الدم لايزيد إلا كثرة أخذت قطعة من حصـير فأحرقتهـا فألصقتها؛ فاسـتمسك»[1] ورماد الحصيـر المعمول من البَرَدِيِّ، له فعل قوي في حبس الدم، لأن فيه تجفيفًا قويًا وقلة لذْع.

◻ *ترك الحنَّاء على القرحة والشوكة:*

قالت عائشة ﷺ: «ما رأيت رسـول الله ﷺ شكا إليه أحد قرحة ولا شوكةً إلا وأمره أن يضع عليه الحِنَّاء» (حديث حسن، أخرجه الترمذي، وابن ماجه، والطبراني).

◻ *الأمر بتبريد الحمى بالماء البارد:*

عن ابن عباس ﷺ قال: سـمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الحمى فَوْر من فَوْر جهنَّم، فأطفئوها عنكم بماء زمزم**» (أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما).

وعن رافع بن خـديج مرفـوعًا «**الحـمى من فوح جـهنَّم فـأبردوها بالماء**» (رواه البخاري، وغيره).

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

هديه ﷺ في داء الاستسقاء

في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: (قدم رهط من عُرينة وعُكَل على النبي ﷺ، فاجتووا المدينة، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: «**لو خرجتم إلى إبل الصدقة، فشربتم من أبوالها وألبانها**» ففعلوا، فلما صَحوا عمدوا إلى الرعاة، فقتلوهم واستاقوا الإِبل). الحديث.

قال ابن القيم-رحمه الله-: «والدليل على أن هذا المرض كان الاستسقاء ما رواه مسلم في صحيحه أنهم قالوا: «إنا اجتوينا المدينة، فعظمت بطونُنا، وارتهشت أعضاؤنا»، وذكر تمام الحديث: والجوى: داء من أدواء الجوف والاستسقاء، مرض مادي، والإدرار المطلوب موجود في أبوال الإِبل وألبانها، ومن المعلوم أن الإبل أكثر رعيها الشيح والقيصوم والببونج والأقحوان والإذخر وغير ذلك من الأدوية النافعة للاستسقاء، وأسباب الاستسقاء عديدة أهمها: تليف الكبد نتيجة بلهارسيا، هبوط القلب، الدرن البريتوني، وعلاجه ينصب على علاج السبب له، مع استخراج السائل.

□ *بعض فوائد حديث: «الشفاء في ثلاث..»:*

في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الشفاء في ثلاث: شربة عسلٍ، وشرطة محجمٍ، وكيَّة نارٍ، وأنا أنهي أُمَّتي عن الكيّ**».

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة منها:

١ ـ للعسل قيمة كبيرة في التداوي ولذلك نفرده بالحديث بإذن الله.

٢ ـ وكأنه ﷺ نبَّه بالعسل على المسهلات، وبالحجامة على الفَصْد، وقد قال بعض الناس: إن الفصد يدخل في قوله: «**شَرْطةِ محْجم**»، فإذا أعياه الدواء فآخر الطب الكيُّ.

٣ـ تضمن النصوص بالإضافة لهذا الحديث استحباب التداوي واستحباب الحجامة وأنها تكون في الموضع الذي يقتضيه الحال وجود احتجام المُحرِم، وإن آل إلى قطع شيء من الشعر، فإن ذلك جائز وجواز احتجام الصائم، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجره»، وفيه دليل على جواز التكسب بصناعة الحجامة، ويجوز استئجار الطبيب وغيره من غير عقد إجارة، بل يعطيه أجرة المثل أو ما يُرضيه.

عسل النحل فيه شفاء للناس:

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٦٨-٦٩).

وفي الحديث: «**عليكم بالشفاءين، القرآن والعسل**» (رواه ابن ماجه)، ففي العسل شفاء من الأمراض والآفات، كما أن القرآن شفاء للصدور من الشكوك والشبهات، وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: «**اسقه عسلاً**»، ثم أتاه الثانية فقال: «**اسقه عسلاً**»، ثم أتاه الثالثة فقال: «**اسقه عسلاً**»، ثم أتاه فقال: فعلت؛ فقال ﷺ: «**صدق الله وكذب بطنُ أخيك، اسقه عسلاً**» فبرأ (رواه البخاري).

وهذا الحديث يدل على أن العسل فيه شفاء للناس؛ فقد وصفه النبي ﷺ لهذا الرجل على الرغم من أنه لم يره، كما أنه ﷺ لم يتأكد من نوع المرض قبل أن يصف له العسل. وكان عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه يكتحل بالعسل، ويداوي به كل من سقم، إيمانًا بكتاب الله وبقوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

□ *بعض الاستعمالات الطبية للعسل:*

١ ـ النزلات الصدرية والسعال بأنواعه، والبرد وبحة الصوت وسيلان الأنف والرشح والأنفلونزا.

٢ ـ يمنع نمو البكتريا، ويؤدي إلى قتلها بما يحتويه من مضادات حيوية.

٣ ـ يساعد على سرعة التئام الأنسجة والتقرحات والجروح والالتهابات، ولذلك فهو يستخدم لعلاج الحروق والجروح المتقيحة، وقرحات المعدة، والاثنى عشر وغيرها، والتهاب البلعوم، والحلق والحنجرة، والقروح المتعفنة والغرغرينا.

٤ ـ إذا قَلَّتْ إفرازات الثدي، وللعُقم، ولإدرار الطمث والقضاء على آلامه.

٥ ـ لتقوية عضلة القلب وعلاج أمراضه وللاحتفاظ بالقوة والحيوية والشباب، قال ابن سينا «إذا أردت أن تحتفظ بشبابك، فاطعم عسلاً».

٦ ـ لعلاج الأرق وللأمراض النفسيَّة والجنون؛ فالعسل مُقوىً ومنشط.

٧ ـ أمراض العيون كالالتهاب والتراكوما وغيرها.

٨ ـ أمراض الربو، والسل الرئوي، والإسهال، والإمساك، إنتان رائحة الفم، الدفتريا، القيء، الحموضة، الدوالي، آلام اللثة وتقوية الأسنان، أمراض الأذن وآلامها، الروماتيزم، الاستسقاء، الثعلبة، الثأليل، الحصوة الكلوية، جميع أمراض الكبد، البرص والبهاق، السموم، البروستاتا، الحساسية.

٩ ـ استخدام العسل بعد العمليات، ولعلاج النحافة والناقهين من الأمراض ولعلاج آلام العضلات والتبول اللاإرادي عند الأطفال.

□ □ □

نصائح مهمَّة للانتفاع بالعسل

١ - وضع أوعية العسل مباشرة فوق النار متلف للعسل.

٢ - الفترة العلاجية بالعسل قد تطول تبعًا لطبيعة الحالة فتعاطيه يكون بحسب الحاجة.

٣ - الأفضل أن يؤخذ العسل قبل الأكل بساعة ونصف أو ساعتين أو بعده بثلاث ساعات.

٤ - التحري عن العسل الخالي من الغش، والبعض يضع عود ثقاب في العسل ثم يحاول إشعاله، فإذا اشتعل دل على أن نسبة الماء في العسل تحد الحد المطلوب، وأحيانًا يضعون قليلاً من العسل في ملعقة أكبر ثم يسخنونه على النار، فإن كان غير مغشوش يبدأ بالغليان الشديد ويُشكل رغوة صافية ليس فيها شيء من السواد وتغير اللون، بعكس ما لو كان مغشوشًا فإنه يحترق ويسودّ، وإذا غطيت جزءًا من سطح ورقة بيضاء بالعسل، ثم أشعلت فيها النار، فإن الورقة تحترق ولا يحترق العسل، بل يسيل على الأرض، وهذا يدل على أن العسل ليس مغشوشًا بالسكر.

٥ - العسل الربيعي أفضل الأصناف، وخصوصًا إذا كان من مزرعة كبيرة كثيرة الأزهار، وينبغي الحذر من العسل المخزن مع الشمع لأن مُدة صلاحيته لا تتعدى أسابيع، وحفظ العسل ينبغي أن يتم في أوان جافة محكمة الإغلاق، بعيدًا عن الثلاجة والأوعية المعدنية، لأن العسل يجذب الرطوبة ويتفاعل مع المعدن فيفسد بسبب ذلك.

٦ - العسل النقي له قوام جيلاتيني مطاط عند تناوله بالملعقة، ومن شأنه أن يخفض من درجة الحموضة، إذا كانت المعدةُ مريضةً وإفرازاتُها الحمضية زائدة ـ بعكس العسل المغشوش ـ.

حبة البركة

الحبة السوداء شفاء من كل داء

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن في الحبة السوداء شفاءً من كل داء، إلا السام**»[1]. والسام: هو الموت.

ولفظ ابن شاذان: «إن الشونيز ينفع بإذن الله عزَّ وجلَّ من كل داءٍ إلا الموت»[2].

ونقل الحافظ ـ رحمه الله ـ في الفتح (١٠ / ١٤٥) عن الخطابي أنه قال: «هذا من العام الذي يُراد به الخاص»، ويوضحه ما قاله بعضهم إن النبي ﷺ كان يصف الدواء بحسب ما يشاهد من حال المريض؛ فلعل قوله في الحبة السوداء وافق مرض من مزاجه باردٌ، فيكون معنى قوله: «**شفاء من كل داء**» أي من هذا الجنس الذي وقع القول فيه، والتخصيص بالحيثيَّة كثير وشائع.

وردَّ ابن أبي حمزة هذا التخصيص بقوله: «تكلم الناس في هذا الحديث وخصوا عمومه، وردوه إلى قول أهل الطب والتجربة، ولا خفاء بغلط قائل ذلك، لأنا إذا صدقنا أهل الطب ـ ومدار علمهم غالبًا إنما هو على التجربة التي بناؤها على ظن غالب ـ فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى بالقبول من كلامهم» اهـ.

قال أبو إسحاق الحويني ـ بعد نقله الكلام السابق ـ: «وهذا كلام حسن قوي، ولقد علمنا علمًا آكدًا أن الأطباء وجدوا في العسل شفاءً لبعض الأمراض

---

(١) الحديث أخرجه البخاري، ومسلم.

(٢) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

التي لم يجدوا لها دواءً قبل ذلك، وكان الأطباء قبلُ ينكرون أن يكون العسل دواء مثل هذا المرض، فما هو المانع أن تكون الحبة السوداء شفاءً من كل داء، ولكن جهل العباد بطرائق استخدامها هو الذي يؤخر - أو يعرقل - الشفاء، وهل من اللائق أن يُخصص كلام الرسول ﷺ بجهل الخلق؟!!» اهـ.

❑ *بعض استعمالات حبة البركة:*

قال صاحب القانون: «والشونيز حرِّيفًا مُقطع للبلغم جلاءً، ويحلل الرياح والنفخ وتنقيته بالغة.. يُجعل مع الخل على البثور البذية، ويحل الأورام البلغمية والصلبة، ومع الخل على القروح البلغمية والجرب المتقرح، ينفع من الزكام خصوصًا مقلواً مجعولاً في صرة كتان، ويُطلى على جبهة من به صداع، وإذا نُقع في الخل ليلة ثم سُحق من الغد واستُعط به وقُدم إلى المريض حتى يستنشقه نفع من الأوجاع المزمنة في الرأس، وطَبيخُه مع الخل ينفع من وجع الأسنان مضمضةً وخصوصًا مع خشب الصنوبر، يقتل الديدان وحب القرع ولو طلاءً على السرة، ويدر الطمث إذا استعمل أيامًا، ويُسقى بالعسل والماء الحار للحصاة في المثانة والكلى، وقال داود الأنطاكي في التذكرة: «واستعماله كل صباح بالزبيب يحمِّر الألوان ويصبغها، ورماده يقطع البواسير شربًا وطلاءً، وإن طبخ مقلوُّه بالزيت وقُطِر في الأذن شفى من الصمم خصوصًا مع دهن الحبة الخضراء، أو في الأنفِ شفى من الزكام، أو مقدم الرأسِ منع من انحدار النزلات، وبماء الحنظل والشيح يخرج حيوانات البطن طلاءً على السرة، وهو ترياق السموم حتى إن دخانه يطرد الهوام، ومن خواصه: أن شرب دهنه مع الزيت والكندر - اللبان الذكر - يعيدُ الشهوة ولو بعد يأس منها، مُجرَّب».

وقد ذكر البعض أمراضًا كثيرة تدخل حبة البركة في علاجها مثل الحمى الشوكية، والمرارة، والطحال، وأمراض الصدر، والبرد، والمغص المعوي،

وأمراض القلب، والدورة الدموية، والبهاقة والبـرص، وتستخدم لجلاء الوجه ولسرعـة التئـام الكسور، ولمنع التـبول اللاإرادي، وفي حالات الاسـتسـقاء والتهابات الكبد، والسكر، والروماتيزم، ولحَبِّ الشباب، والأمراض الجلدية، والثـأليل، ولارتفاع ضـغط الدم، وإذابة الكوليسـترول في الدم، ولـتفتـيت الحصوة، وحالات الالتهاب الكلوي، وللعقم، والبروستاتا، ولطرد الديدان، والإسهال، والطرشى، والحموضة، والغازات والتقلصات، والقرحة، والربو، والضعف التناسلي، والصـداع، وتساقط الشعر، والأرق، وأمـراض العيون، وعـلى كـل حـال فالحبـة السوداء شفاء من كل داء كما قال الصادق المصدوق ـ صلوات الله وسلامه عليـه ـ فكن على ثقة بخبره، لأن هذا من مقـتضيات الإيمان، حتى وإن كان المرض مزمنًا أو مستعصيًا فلا يأس ولا قنوط من رحمة الله ولكل داءٍ دواءٌ، وعِلْمُ البشـرية اليوم أشبه بأطفـال يلعبون بساحل الـبحر وهم يجهلونَ أعماقه.

وقد قرر العلماء: أنه من علم حُجَّةٌ على من لم يعلم، وأنه لا اجتهاد مع النصِّ؛ فكيف إذا كان العلم والنص قد ورد عمن لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ومن خالفه ليس معـه إلا الجهل، وقد ذكر البعض أمراضًا كثـيرة، تدخل حبة البركة في علاجهـا، وذلك على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

❐ ❐ ❐

نحو طب إسلامي

إن الطب من أشرف المهن الإنسانيَّة؛ فكما أن الدين هو صلاح القلوب، فالطب هو صلاح الأبدان، التي لا غنى للإنسان عنها، ولاشك أن دور الطبيب والتمريض حساس وخطير، ومن هذا المنطق انتبه له المشتغلون بالتنصير، فأرسلوا الأطباء والفرق الصحية إلى مشارق الأرض ومغاربها برواتب مغرية، ابتغاء نشر عقيدتهم، ونحن كأصحاب الدعوة الحقة، لابد أن نسلك كل سبيل وطريق في سبيل إبلاغ الحق إلى الخلق كافة، ومن جملة ذلك إعادة الطب الإسلامي ليكون منهاجًا يعلو ولا يُعلى عليه ليكون دربًا منيرًا يهدي الحيارى والضائعين، وينتفع به بحبوحة الصحة والعافية وبرد اليقين.

لقد مضى علينا وقت عزَّ أن نرى فيه طبيبًا يُقيم الصلاة أو تبدو عليه علامات التقى والصلاح - إلا قليلاً ممن رحم الله - وحدث انفصال مريب بين الدين والدنيا، وظهر ذلك في كل شئون الحياة، ومن بينها حالات الطب؛ فالطبيب المسلم لا يعرف شيئًا عن دينه، ولا حتى فيما يتعلق بمجال اختصاصه، فلا هو يدعو إلى الله، ولا يُعظِّمُ حرمات الله، ولا هو يعرف شيئًا عن الحلال والحرام، ولم تفلت مجالات الطب من مظاهر الضعف والوهن التي دبت في جسد هذه الأمة، فتابعنا فيها غيرنا حذو القُذَّةِ بالقُذَّةِ، وحذوَ النعلِ بالنعلِ، حتى فيما يتعلق باللغة الأجنبية التي كُتبت بها علوم الطب، فالتدريس في كليات الطب والمؤتمرات الطبية التي تُقام في بلدان المسلمين معظمها تتم بلغات أجنبية - غير عربية - ولحقنا الهزيمة النفسية - وعقدة الخواجة - في كلّ شيء وأصبحنا في أحسن أحوالنا نتغنى بأمجاد الماضي!!.

وقد يقول قائل: «وما الحرج في الاستفادة من غيرنا، فمسائل العلوم عالمية، والعلم لا وطن له، وهو كالماء والهواء، ونحن نستفيد منهم كما استفادوا منا؟».

ونجيب على ذلك بأن الحقائق العلميــة لابد لها من لسان يصوغها، وهذا اللسان مــحلي وهو مخــتلف ومتفــاوت، فلسان الملحد ليــس كلسان المؤمن، وذلك في صياغة المسألة الواحدة، والسلوك مــرآة الفكر، فمثلاً الملحد يقول: لا إله، والحيــاة مادة، وأن الطبيعــة هي التي منحتنا كذا!!!، أما المؤمــن فهو يوقن أنه: لا إله إلا الله، وأنه ســبــحانه مــوصــوف بكل كــمال، وبنعــوت الجلال، وأنه خالق الخلق، ومالك الملك، وأنه الذي أوجد هذه الخصائص في المادة، وما من أمة إلا وهي تحرص على صياغة عقــول أبنائها وفق معتقداتها، ولذلك رفضت روسيا العلوم الغربية ووصفــتها بأنها علوم ليبرالية، ورأت أنه لابد من صياغة المسائل صياغة ماركسية إلحادية.

ومن رحمة الله تعالى بنا أننا نعيش الآن هذه الصــحوة، وقد تبدلت أحوال كثــيرة، بفضل الله، فإذا بأفــواج الأطباء تتخرج وهــي متمسكة بدينهــا، وكلها حرص لإعادة المجــد الضائع التليد لهذه الأمــة العظيمة، إن العالم الــيوم يعيش مرحلة عودة حقيقية للمعــالجة بالبدائل الطبية، ومنها: طبُّ الأعشاب، والوخز بالإبر الصيــنية، والمساج، والحــمامــات، والماء البارد، والعسل وحــبة البــركة، والرياضة، والطين والغذاء.. إلى آخر هذه السلسلة التي نسمع عنها الجديد كل يوم، ولما بدأ الغرب يعود للاهتمام بالطب الشعبي والبدائل الطبية الأخرى، بدأ الأطباء المستغربون في عالمنا بالاهتمام بأحد أبواب الطب البديل سيرًا وراءهم.

وقد يتصور البــعض أن الطبَّ الإسلامي الذي ننشده، يمكن أن يكون هو هذا الطب الحــديث الذي نتعــامل به، بشرط أن يُقــدم بالأساليــب والأخلاق الإسلامية الرفيعة، مع تجنب المخالفات الشرعية من تبرج واختلاط وغيرها مما هو واقع في المستشفيات حاليًا.

وقد يظن آخرون أن الطبَّ الإسلاميَّ هو الطب الذي يتعامل مع النباتات والأعشاب والفــصد والحجامة والكي، وآخــرون قد يرونه الطب الذي يعالج

بالقرآن وماء زمزم، والعسل والحبة السوداء، وغيرها مما جاءت به الأحاديث النبوية الشريفة، وبمعنى آخر: أنه الطبُّ النبوي فقط. في الحقيقة إن الطب الإسلامي يشمل كل ما سبق، فهو الطب الذي ينطلق من المفهوم الإسلامي الشامل للخلق والحياة، والموت والفناء، إنه الطب الذي يشمل جميع خبرات الشعوب الإسلامية وأبحاثها، وخبرات الأطباء من عرب وعجم.

إن المطلوب الآن نقلة نوعية تتسم بسعة الأفق وعدم التحيز والاستفادة من علوم الرواد الأوائل، وما ورد في الطب النبوي وطب الشعوب الأخرى، فضلاً عن الطب الحديث، وهذا يستدعي روادًا جددًا بتخصصات جديدة تناسب هذه النظرة الواسعة الشموليَّة، ويتمتعون بفقه وعلم وبصيرة، يكون بمثابة القدوة العلمية لغيرهم، ونحن نخطو هذه الخطوة الموفقة ـ بإذن الله ـ لابد من حفظ تراث الأمة العلمي المتمثل في المخطوطات الهائلة الموجودة في المكتبات العربية والأجنبية، مع تحقيق هذا التراث من قبل المتخصصين الجهابذة حتى يمكن دراستُه والانتفاع به على خير وجه، كما لابد من استثمار الموارد الطبيعية لهذه الأمة كالنباتات والأعشاب الطبية، وتوفير معامل ومعاهد الأبحاث، وأن تكون قرب المزارع الخاصة بالنباتات الطبية، والحاجة ماسة لتدريب كفاءةٍ طبية تمريضية على مفهوم الطب الإسلامي وفق منهج شامل متكامل يستعرض الخلفيَّة التاريخية ويقدم الحقائق العلمية المختلفة كشواهد على الخلق وعلى علم الله وقدرته، ويقدم التقنيات الحديثة، كما يستعرض المعاني الإسلامية ويضع المعايير للأخلاق والقيم.

إننا بحاجة لترسيخ مفهوم الطب الإسلامي على أرض الواقع، تأدية للأمانة وإبلاغًا للرسالة، ونصحًا للأمة، وإبراءً للذمة حتى نكون بحق أنفع الناس للناس، وخير أمة أُخرجت للناس[1].

(١) لمزيد من الفائدة راجع بحث الطب الإسلامي نحو تطبيق عملي د/ سمير إسماعيل الحلو (ص١٥٥-١٦٠).

آداب وفوائد طبية نافعة للأطباء والمرضى وغيرهم

١ ـ *التدرج في التداوي:*

يقول أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (المتوفى عام ٣١١هـ):

«إذا قدرت أن تُعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية، وإذا قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب، وإذا كان الطبيب عالمًا والمريض مُطيعًا، فما أقل مكث العلة».

٢ ـ *الفرق بين العبادات والطب النبوي:*

فرَّق علماء الإسلام بين ما جاء عن النبي ﷺ في العبادات والمعاملات الواجب اتباعُها متى صَحَّتْ عنه، بينما لم يوجبوا اتباع النواحي الطبية والعلاجية، على الرغم من فضلها وعظم نفعها.

٣ ـ *الفاتحة لها تأثير عجيب:*

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة، لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء، ومكثتُ بمكَّةَ يقريني أدواء ولا أجد طبيبًا ولا دواءً، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصف ذلك لمن يشكي ألمًا، فكان كثير منهم يبرأ سريعًا».

٤ ـ *لماذا لم ندخل العسل في قائمة علاجاتنا:*

ظهرت مجموعةُ أبحاث وكتب ودراسات عن استخدامات العسل وقدرته الشفائية العجيبة، وأكثر من قام بهذه التجارب الأطباء الروس، فلماذا لم يتم إدخال العسل في قائمة العلاجات في مستشفياتنا ومراكز الصحة وعياداتنا الخاصة.

٥ ـ أثر الفصول والأيام في صحة الإنسان:

أفرد الأطباء المسلمون أبوابًا خاصة عن أثر الفصول والأيام في صحة الإنسان، وكذلك تكلموا عن أثر حرارة الجو وبرودته والرياح وأنواعها، وقد بدأ الطبُّ الغربي يهتم بمثل هذه المعاني، وبدأت المقالاتُ والتقارير في المجالات الطبية الغربية تتحدث عن أهمية هذا العلم وضرورة أخذ أثر الوقت في صحة الإنسان.

٦ ـ العلاج بالأعشاب:

نُشرت دراسات كثيرة في مؤتمرات الطب الإسلامي عن استخدام الأعشاب لعلاج الأمراض المختلفة، على أعداد كبيرة من المرضى، وأيضًا على حيوانات التجارب المخبريَّة، وقد بينت الدراسة غنى هذه النباتات بالمضادات الحيوية.

٧ ـ عيادة المريض:

يستحب في العيادة أن يدعو العائد للمريض بالشفاء والعافية وأن يوصيه بالصبر والاحتمال وأن يقول له الكلمات الطيبة التي تُطيب نفسه وتُقوي روحه، وينبغي تخفيف وتقليل العيادة ما أمكن إلا إذا رغب المريض في ذلك، ولا بأس بعيادة المسلم الكافر، قال البخاري: «باب عيادة المشرك» وروى عن أنس ﷺ «أن غلامًا ليهود كان يخدم النبي ﷺ ؛ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال: «أسلم»، فأسلم»، ولا بأس أيضًا بعيادة النساء الرجال، ولابد في ذلك من التأدب بالآداب الشرعيَّة وأمن الفتنة، قال البخاري: «باب عيادة النساء الرجال» «وعادت أم الدرداء رجلاً من أهل المسجد من الأنصار»، وروى عن عائشة ﵂ أنها قالت: «لما قَدِمَ رسول الله ﷺ وعك أبو بكر وبلال ﵄، قالت: «فدخلت عليهما، فقلت: يا أبتِ كيف تجدك؟، ويا بلال كيف تجدك؟»»، وإذا دخلت على مريض فاطلب منه فليدع لك.

٨ ـ *الشكوى للطبيب:*

الشكوى للطبيب والصديق لا تضاد الصبر ما لم يكن ذلك على سبيل التسخط وإظهار الجزع؛ فقد شكت عائشة رضي الله عنها فقالت لرسول الله ﷺ: «وارأساه»، فقال: «**بل أنا وارأساه**»، وقال ﷺ: «**إني أوعك كما يوعك رجلانِ منكم**».

٩ ـ *اغتنم صحتك قبل مرضك:*

روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا مرض العبد أو سافر كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**» فاغتنم صحتك قبل مرضك، وأكثر من الطاعة والدعاء حال رخائك يتداركْك سبحانه برحمته حال شدتك، واعلم أن الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يشعر بها إلا المرضى.

١٠ ـ *لا يترك الصلاة بسبب المرض:*

المريض يصلي قائمًا، فإن لم يستطع فقاعدًا؛ فإن لم يستطع فعلى جنب، ويستقبل القبلة إن استطاع، ويتوضأ فإن لم يستطع أو خاف المضرة باستخدام الماء، فإنه يتيمم، فإن لم يستطع صلى بحسب حاله، إذ واجبات الصلاة تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة، وما جعل عليكم في الدين من حرج، ولكن لا تترك الصلاة وأنت مريض.

١١ ـ *التداوي عند النصراني:*

في كتاب الآداب الشرعية لابن مفلح: «وقال الشيخ تقي الدين إذا كان اليهودي والنصراني خبيراً بالطب ثقة عند الإنسان جاز له أن يُستطبَ «يُجعل طبيبًا»، كما يجوز له أن يودعه المال وأن يعامله، كما قال تعالي: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾ (آل عمران: ٧٥)، فما دام أنه غير متهم

فيما يصفه، وكان غير مظنون به الريبة، فيجوز التداوي عنده، والمسلم أولى بكل خير، واعلم أن العلوم المادية كالطب والهندسة والزراعة تُؤخذ من كل من أفلح فيها، أما ما يتعلق بالهداية فلا يُؤخذ إلا من الكتاب والسُّنَّة».

١٢- حكم *مداواة المرأة الرجل والعكس:*

تُندب المرأة للكشف على المرأة، فإن لم تكن متعلمة تُعلَّم، كما قال الكسائى في بدائع الصنائع، ويجوز للرجل أن يداوي المرأة، ويجوز للمرأة أن تداوي الرجل عند الضرورة، قال البخاري: هل يداوي الرجل المرأة والمرأة الرجل، ثم روي عن رُبَيِّع بنت معوِّذ بن عفراء قالت: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقي القوم ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة»، وقال الحافظ في الفتح: «يجوز مداواة الأجانب عند الضرورة، وتُقَدَّر بقدرها فيما يتعلق بالنظر والجسِّ باليد وغير ذلك».

وقال ابن مفلح في كتاب الآداب الشرعية: «فإن مرضت امرأة ولم يوجد من يُطِبها غير رجل، جاز له منها نظر ما تدعو الحاجة إلى نظره منها، حتى الفرجين»، وكذا الرجل مع النساء، قال ابن حمدان: «وإن لم يوجد من يُطِبه سوى امرأةٍ، فلها نظر ما تدعو الحاجة إلى نظرها منه حتى فرجيه».

قال القاضي: «يجوز للطبيب أن ينظر من المرأة إلى العورة عند الحاجة، وكذلك يجوُز للمرأة والرجل، أن ينظرا إلى عورة الرجل عند الضرورة» اهـ.

١٣ ـ حكم *رُقية أهل الكتاب:*

قال الربيع: سألت الشافعي عن الرُّقية فقال: «لا بأس أن ترقي بكتاب الله، وبما تعرف من ذِكر الله، قلت: أيرقي أهل الكتاب المسلمين؟، قال: نعم، إذا رقوا بما يُعرَف من كتاب الله وبذِكر الله».

١٤ ـ *النهي عن التمائم:*

نهى رسول الله ﷺ عن التمائم، فعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «**من علَّق تميمة فلا أتم الله له، ومن علَّق ودعةً فلا أودع الله له**» (رواه أحمد، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد). **والتميمة**: هي الخرزة التي كان العرب يعلقونها على أولادهم يمنعون بها العين في زعمهم؛ فأبطله الإسلام ونهى عنه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه دخل على امرأته، وفي عنقها شيء معقود، فجذبه فقطعه، ثم قال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء أن يشركوا بالله ما لم يُنَزِّلْ به سلطانًا، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرُّقى والتمائمَ والتولَةَ شركٌ**»، قالوا: يا أبا عبد الله هذه التمائم والرقى قد عرفناها، فما التولة؟ قال: «شيء يصنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن» (رواه الحاكم، وابن حبان، وصححاه).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أبصر على عَضُدِ رجل حلقة أراه قال: من صفر «نحاس»، فقال: «**ويحك ما هذه؟**»، قال: من الواهنة، قال: «**أما إنها لا تزيدك إلا وهنًا، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك، ما أفلحت أبدًا**» (رواه أحمد)، وقد ظن الرجل أن حلقة النحاس التي علّقها تعصمُه من الألم، فنهاه رسول الله ﷺ عنها.

وروى أبوداود عن عيسى بن حمزة قال: دخلت على عبد الله بن حكيم فقلت ألا تعلِّق تميمةً؟ فقال: نعوذ بالله من ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**من علَّق شيئًا وُكِلَ إليه**».

١٥ ـ *الحَجْر الصحي:*

امتنع عمر رضي الله عنه من دخول الشام عام الطاعون، فقال له أبو عبيدة رضي الله عنه: أفِرار يا عمر من قدر الله؟، فقال له رضي الله عنه: نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، وفي الحديث: «**لا يوردن مُمْرِض على مصحٍّ**» (متفق عليه)، وثبت النهي عن

الخروج من الطاعون أو الدخول في أرض هو بها، وهو ما يُعبر عنه الآن بالحَجْر الصحي، وهذا مع قوله ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة**»، فالأمور تجري بقدر، والتسليم للقدر إنما يكون مع بذل الوسع في تعاطي الأسباب الشرعيَّة، ولا حرج في الخروج من الواقع السئ، ولا منافاة بينه وبين معاني التوكُّل، ولذلك يجوز منع أصحاب الأمراض الوبائية من السكن بين الأصحاء كما لا حرج في الامتناعِ من الدخول عليهم.

١٦ ـ *خواص عدد السبع:*

ذكره ابن القيم ـ رحمه الله ـ في زاد المعاد فائدة تتعلق بعدد السبع قال:

«فإنها قد وقعت قدرًا وشرعًا، فخلق الله ـ عزَّ وجلَّ ـ السموات سبعًا والأرضين سبعًا والأيام سبعًا، الإنسان كمُل خلقه في سبعة أطوارٍ، وشَرَعَ الله سبحانه لعباده الطواف سبعًا، والسعي بين الصفا والمروة سبعًا، ورمى الجمار سبعًا سبعًا، وتكبيرات العيدين سبعًا في الأولى.

وقال ﷺ: «**مُروهم بالصلاة لسبع**»، «**وإذا صار للغلام سبع سنين خُيِّر بين أبويه**» في رواية، وفي رواية أخرى «**أبوه أحق به من أمه**»، وفي ثالثة: «**أمه أحقُّ به**»، وأمر النبي ﷺ في مرضه أن يُصبَّ عليه من سبع قرب، وسخر الله الريح على قوم عاد سبع ليال، ودعا النبي ﷺ أن يعينه الله على قومه بسبعٍ كسبع يوسف، ومثل الله سبحانه ما يضاعف به صدقة المتصدق بحبة أنبتت سبع سنابل في كل سُنبلةٍ مئة حبة، والسبعة جمعت معاني العدد كله، وخواصه، وللأطباء اعتناء عظيم بالسبعة.

وقال بقراط: «كل شيء من هذا العالم فهو مُقدَّرٌ على سبعة أجزاء»، وقال ابن القيم: «والله تعالى أعلم بحكمته وشرعه وقدره في تخصيص هذا العدد، هل هو لهذا المعنى أو لغيره، ونفع هذا العدد من هذا التمر من هذا البلد من هذه البقعة بعينها من السم والسحر بحيث تمنع إصابته من الخواص

التي لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والإذعان والانقياد مع أن القائل إنما معه الحدس والتخمينُ والظنُّ، فمن كلامه كله يقينٌ، وقطعٌ وبرهانٌ ووحيٌ أولى أن تُتَلَقَّى أقواله بالقبول والتسليم وترك الاعتراض» اهـ.

١٧ ـ *علاج المرضى بتطبيب نفوسهم:*

من كمال اللطف وحُسن العلاج والتدبير في علاج المرضى الحرص على تطبيب نفوسهم وتقوية قلوبهم فقد روى ابن ماجه في سُننه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل، فإن ذلك لا يرد شيئًا**»، وهو تطبيب نفس المريض فإدخال ما يسره عليه له تأثير عجيب في شفاء علته وخفتها فإن الأرواح والقوى تقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي.

وقد كان رسول الله ﷺ يسأل المريض عن شكواه وكيف يجده، ويسأله عما يشتهيه ويضعُ يَدَهَ على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته، وربما توضأ وصبَّ على المريض من وضوئه وربما كان يقول للمريض: «**لا بأس عليك طهورٌ إن شاء الله**».

١٨ ـ *اختيار الطبيب الأحذق:*

ينبغي الاستعانة في كل علم وصناعة بأحذقَ من فيها، فالأحذقِ فإنه إلى الإصابة أقربُ، وهكذا يجب على المستفتي أن يستعين على ما نزل به بالأعلم فالأعلم لأنه أقرب إصابة ممن هو دونه، وكذلك من خفيت عليه القبلة فإنه يقلِّدُ أعلم من يجده، وعلى هذا فطر الله عباده.

وقد ذكر مالك في موطئه عن زيد بن أسلم أن النبي ﷺ لما نظر للرجلين قال: «**أيكما أطبُّ**»، فقال الرجل المجروح: أو في الطبِّ خير يا رسول الله؟، فقال: «**أنزل الدواء الذي أنزل الداء**».

١٩ ـ *الطبيب الحاذق الماهر وما ينبغي عليه:*

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «والطبيبُ الحاذقُ هو الـذي يراعي في علاجه عشرين أمرًا:

أحدها ـ النظر في نوع المرض من أي الأمراض هو.

الثاني ـ النظر في سببه من أي شيء حـدثت العلة الفاعلة التي كانت سبب حدوثه ما هي.

الثالث ـ قوة المريض وهل هي مُـقاومة للمرض أو أضعف مـنه، فإن كانت مقاومةً للمرض مستظهرة عليه تركها والمرض، ولم يحرِّكْ بالدواء ساكنًا.

الرابع ـ مزاج البدن الطبيعي ما هو.

الخامس ـ المزاجُ الحادث على غير المجرى الطبيعي.

السادس ـ سنُّ المريض.

السابع ـ عـادتـه.

الثامن ـ الوقتُ الحاضر من فصول السنة وما يليق به.

التاسع ـ بلدُ المريض وتربته.

العاشر ـ حال الهواء في وقت المرض.

الحادي عشر ـ النظرُ في الدواءِ المضادِ لتلك العلّة.

الثاني عشر ـ النظر في قوة الدواء ودرجته والموازنة بينها وبين قوة المريض.

الثالث عشر ـ أن لا يكون قصدُه إزالة تلك العلَّة فقط، بل إزالتها على وجه يأمن معه حدوث أصـعب منها؛ فمتى كان إزالتها لا يأمن مـعها حدوث علَّةٍ أخرى أصعب منها أبقاها على حالها وتلطيفها هو الواجب.

الرابع عشر ـ أن يُعالج بالأسـهل فالأسهل فـلا ينتقل من العـلاج بالغذاء إلى الدواء إلا عند تعذُّرِه، ولا ينتقل إلى الدواء المركَّب إلا عند تعذر الدواء البسيط، فمن سعادة الطبيب علاجه بالأغذية بدل الأدوية وبالأدوية البسيطة بدل المركبة.

الخامس عشر - أن ينظر في العلة هل هي مما يمكن علاجُها أولاً، فإن لم يمكن علاجها حفظ صناعته وحرمته ولا يحمله الطمع على علاج لا يفيد شيئًا، وإن أمكن علاجها نظر هل يمكن زوالها أم لا، فإن علم أنه لا يمكن زوالها نظر هل يمكن تخفيفها وتقليلها أم لا، فإن لم يمكن تقليلها ورأى أن غاية الإمكان إيقافها وقطع زيادتها قصد بالعلاج ذلك وأعان القوة وأضعف المادة.

السادس عشر - أن لا يتعرض للخلط «كالخرَّاج» قبل نضجه باستفراغ با يقصد إنضاجه، فإذا تم نضجه بادر إلى استفراغه.

السابع عشر - أن يكون له خبرة باعتلال القلوب والأرواح وأدويتها، وذلك أصل عظيم في علاج الأبدان، فإن انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب أمر مشهود، والطبيب إذا كان عارفًا بأمراض القلب والروح وعلاجهما كان هو الطبيب الكامل، والذي لا خبرة له بذلك وإن كان حاذقًا في علاج الطبيعة وأحوال البدن نصف طبيب، وكل طبيب لا يداوي العليل بتفقد قلبه وصلاحه وتقوية أرواحه وقواه بالصدقة وفعل الخير والإحسان والإقبال على الله والدار الآخرة، فليس بطبيبٍ بل متطبب قاصر.

ومن أعظم علاجات المرض فعلُ الخير والإحسان، والذكر والتضرُّع والابتهال إلى الله والتوبة، ولهذه الأمور تأثير في دفع العلل وحصول الشفاء أعظم من الأدوية الطبيعية، ولكن بحسب استعداد النفس وقبولها وعقيدتها في ذلك ونفعه.

الثامن عشر - التلطُّفُ بالمريض والرفق به كالتلطف بالصبي.

التاسع عشر - أن يستعمل أنواع العلاجات الطبيعية والإلهية والعلاج بالتخيل، فإن لحذاق الأطباء في التخييل أمورًا عجيبة لا يصل إليها الدواء، فالطبيب الحاذق يستعين على المرض بكل مُعين.

العشرين - وهو ملاك أمر الطبيب أن يجعل علاجه وتدبره دائرًا على ستة

أركان، حفظ الصحة الموجودة، ورد الصحة المفقودة بحسب الإمكان، وإزالة العلة أو تقليلها بحسب الإمكان، واحتمال أدنى المفسدتين لإزالة أعظمهما، وتفويت أدنى المصلحتين لتحصيل أعظمهما؛ فعلى هذه الأصول الستة مدار العلاج، وكل طبيب لا تكون هذه أخيته التي يرجع إليها فليس بطبيب، والله أعلم». اهـ.

٢٠ ـ *تناول المريض اليسير مما يشتهيه لا يضره:*

اللذيذ المُشتَهى تُقبل الطبيعة عليه بعناية فتهضمه على أحد الوجوه، ويكون بذلك أنفع وأقلَّ ضرراً مما لا يشتهيه، وإن كان نافعًا في نفسه، فإن صدق شهوته وصحته الطبيعية له يدفع ضرره.

وبغضُ الطبيعة وكراهتُها للنافع قد يجلب لها منه ضرراً؛ ولهذا أقر النبي ﷺ صُهيبًا ـ وهو أرمد ـ على تناول الثمرات اليسيرة وعلم أنها لا تضره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ عاد رجلاً فقال له: «**ما تشتهي؟**» فقال: أشتهي خبز بُرّ، وفي لفظ: «أشتهي كعكًا»، فقال النبي ﷺ: «**من كان عنده خُبز بُرًّ، فيبعث إلى أخيه**»، ثم قال: «**إذا اشتهى مريض أحدكم شيئًا فليطعمه**» (رواه ابن ماجه).

٢١ ـ *حفظ الصحة في كلمتين:*

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف: ٣١).

فأرشد عباده إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب، عِوضَ ما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن في الكميَّة والكيفيَّة، فمتى جاوز ذلك كان إسرافًا، وكلاهما مانعٌ من الصحة جالبٌ للمرض.

أعني عدَم الأكل والشرب أو الإسراف فيه، فحفظ الصحة في هاتين الكلمتين الإلهيتين، وقد روى البخاري في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ : «**نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس الصِّحَّةُ والفراغُ**»، وفي الحديث: «**سلوا الله اليقين والمعافاة، فما أوتي أحدٌ ـ بعد اليقين ـ خيراً من العافية**».

فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين، إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه.

٢٢ ـ *تغذية المريض بألطف ما اعتاده من الأغذية:*

في الصحيحين عن عائشة ﵂: «أنها كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقنَ، إلا أهلها وخاصتها، أمرت ببُرْمةٍ من تلبينة فطبخت، ثم صُنع ثريدٌ، فصبت التلبينة عليها، ثم قالت: كُلن منها، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**التلبينة مُجمةٌ لفؤاد المريض، تُذهب ببعض الحزن**»،

وإذا شئت أن تعرف فضل التلبينة فاعرف فضل ماء الشعير، بل هي أفضل من ماء الشعير لهم، فإنه حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته، وللعادات تأثير في الانتفاع بالأدوية والأغذية، ولذلك فالناس يتفاوتون في ذلك.

٢٣ ـ *جهة تأثير الأدوية في الأمراض:*

خلق الله سبحانه ابن آدم وأعضاءه، وجعل لكلِّ عضو منها كمالاً، إذا فقدهُ أحسَّ بالألم، وجعل لمالكها ـ وهو القلب ـ كمالاً إذا فقده حضرته أسقامه وآلامه من الهموم والغموم والأحزان.

قال بعض المتقدمين من أئمة الطب: «من أراد عافية الجسم: فليقلل من الطعام والشراب، ومن أراد عافية القلب: فليترك الآثام».

وقال ثابت بن قُرة: «راحةُ الجسم في قلة الطعام، وراحةُ الروحِ في قلة الآثام، وراحة اللسان في قلة الكلام».

والذنوب للقلب بمنزلة السموم، إن لم تهلكه أضعفته ولابد، وإذا أضعفته لم يقدر على مقاومة الأمراض.

قال طبيب القلوب عبد الله بن المبارك:

رأيتُ الذنوب تُميتُ القلوبَ ... وقد يُورثُ الذُّلَ إدمانُها
وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوب ... وخيرٌ لنفسكَ عصيانُها

فاضرع إلى ربك وقل: «يا حي يا قيومُ برحمتك أستغيث».

٢٤ ـ *كراهة تمني الموت والاستعداد له بالعمل الصالح:*

روى الجماعة عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا يتمنين أحدُكم الموت لضُر نزل به، فإن كان لابد متمنيًا فليقل: اللهم أحيِني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاةُ خيرًا لي**».

وينبغي على الإنسان أن يُكْثِرَ من ذكر هادم اللذات ـ الموت ـ وأن يستعد للقاء الله بالإيمان والعمل الصالح، وينبغي على المريض أن يُكثر من ذكر الله وبخاصة كلمة: «**لا إله إلا الله**»، على من حضره أن يُذكِّرَهُ بقيمة ذلك، ويتأكد ذلك في لحظات الاحتضار، دون إلحاح حتى لا يتبرَّمَ المحتضر.

ففي الحديث الذي رواه مسلم وغيره، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لقِّنوا موتاكم لا إله إلا الله**»، وثبت أيضًا: «أن من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة».

وهذه علامة من علامات حُسن الخاتمة يُستأنس بها، كما ينبغي أن نذكِّر المريض بسعة رحمة الله حتى يُحسِنَ الظن بربه، لما رواه مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: «**لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يُحْسِنُ الظن بالله**».

فينبغي تغليب جانب الرجاء على جانب الخوف في لحظة الاحتضار، ويستحب أن يحضر الصالحون من أشرف على الموت فيذكروا الله ولا يقولوا إلا خيرًا، فإن الملائكة يُؤَمِّنُونَ على ما تقولون.

الخاتمة

مازالت البشرية تحبو حتى يومنا هذا ـ رغم ادعاءات العلم المتكررة، فما تجهله أكثر مما تعلمه ـ في مجال الطبِّ وغيره ـ وحضارة[1] القرن العشرين ـ حضارةُ القلق كما وصفها أهلها، قد أورثت الكثير من بنيها المصحات العقليّة، والمستشفيات النفسية، نتيجة الانفصال المريب بين الدين والدولة، والدنيا والآخرة، والأرض والسماء؛ فهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم:٧)، لا يدرون من خلقهم؟!، ولماذا خلقهم وإلى أين المصير؟!، فاندفعوا كالحُمُر الهائمة على وجهها يتعاطون الخمر والمخدرات والجنس، وكل صور ومظاهر الإباحية والشذوذ تعويضًا للخواء الروحي والقلق النفسي، وذلك لفقدانهم معاني الأمن والإيمان الحقيقي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام:٨٢)، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، أو كالعير بالرمضاء يقتله الظمأ والماء فوق ظهره محمول.

وإذا كان هذا هو قولنا للغرب والشرق؛ فقولنا أشد لمن جحد نعمة ربه، واستبدل بدينه نُظُمًا طاغوتيةً ومبادئ كفريَّةً، وعتابنا أعظم على من انخدع بمظاهر الضياع الغربي وأراد أن يخدعَ غيره موهمًا أن ذلك من مقتضيات التطور والتقدم!!.

إن الإسلام حثَّ على الأخذ بأسباب العلم، وإعمال الفكر والعقل والتدبُّر في ملكوت السموات والأرض؛ ليكون سبيلاً موصلاً إلى معاني الإيمان واليقين، وقد ورد في القرآن والسُنة إشاراتٌ علميَّةٌ كثيرة، كيميائيَّة

(١) ليست بحضارة حقة، فالحضارة هي التي تقوم على أساس الخضوع لله في كل شئون الحياة.

وفيزيائيَّة، طبيَّة وفلكيَّة، تتعلق بالأرض والسماء، وبالإنسان والحيوان، وكلها سيقت مساق الهداية.

مثل قـوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (القيامة:٣-٤).

وقوله سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون:١٢-١٤).

وشواهـدُ ذلك كثـيرةٌ جـداً، فلا يليق بنا أن نفـصل شئـون الحيـاة عن الإسلام، قال تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤).

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة:٣). وقال سبـحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

والإسلام هو طبُّ القلوب ودواؤها، وعافيةُ الأبدان وشفاؤها ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام:١٢٢).

إن معـرفتنا بمعـاني الطب الحديث لا تمنـعنا من توحيـد الله جل وعلا، والصلاة والدعاء واستخدام الرقى الشرعية.

فلا إيماننا يمنعنا من التحضُّر والأخذ بأسباب التقدم، ولا تطورنا يُنسينا الإيمان بالله واليوم الآخر، وبذلك نكون قد عَمَّرْنَا الدنيا بطاعة الله، وأخلصنا واجب العبوديَّة له سبحانه، فتسلم قلوبنا وتصح أبداننا، ونسعد في الدنيا والآخرة، وننتقل من هذه الدار بسلام إلى دار السلام، ولا نكون ﴿كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر: ١٩).

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الصافات: ١٨٠-١٨٢).

بقلم

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

❒ ❒ ❒



فهرس الكتاب

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة